مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م١٦ ع٢، ص ص: ٣-٦٤ (١٤٢٩/٢٠٠٨هـ)

صـــورة المـــرأة المسلمـــة فـــي الإعلام الغربـــي رؤية تحليلية

نورة خالد السعد

أستاذ علم الاجتماع المشارك

كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبدالعزيز

جدة – المملكة العربية السعودية

المستخلص. إن موضوع المرأة المسلمة أصبح هدفا لإثارة الشبهات حول حقوقها وواجباتها، وخصوصا في صحافة الإعلام الغربي، وتهدف هذه الدراسة إلى معرفة العوامل التي أسهمت في صياغة الرؤية الغربية لهذا الواقع وما معايير الصورة النمطية للمرأة المسلمة في هذا الإعلام، ومعرفة مدى مقاربة هذه الصورة للواقع الاجتماعي للمرأة المسلمة، وتوضيح ما الذي يجب علينا اتخاذه تجاه تصحيح هذا الواقع، والصورة النمطية، وقد تم تحليل العديد من المقالات المنشورة في الصحف الغربية من خلال المعايير التالية :(الدعوة إلى رفع وصاية الدين عن المرأة، وعدم الموضوعية في عرض قضايا المرأة المسلمة، وتكريس النموذج الغربي للمرأة وتأثير فكر الحركة النسوية الغربية، وازدواجية المعايير في تحليل هذه القضايا)، وأيضًا استعرضت الدراسة بعض السلبيات في إيفاء المرأة المسلمة بعض حقوقها في مجتمعاتنا

الإسلامية التي أسهمت في تعزيز هذه الصورة النمطية التي تصنف النساء المسلمات بأن حقوقهن مهضومة وحرياتهن مسلوبة من خلال الفهم الخاطئ للتشريعات الإسلامية وفق المنظور الغربي والجهل بالفرق بين هذه التشريعات وبين القوانين الوضعية السائدة في الغرب. وأكدت الدراسة على أهمية إصلاح الواقع الاجتماعي للمرأة المسلمة والوقوف بقوة أمام بنود الاتفاقيات التي تتعارض مع التشريعات الإسلامية، وأهمية التواصل الثقافي مع المنظمات النسائية الغربية التي تعارض هذه المنهجية غير المحايدة في الإعلام الغربي تجاه الإسلام وقضايا المرأة المسلمة.

مقدمة

إن وضع المرأة في العالم الإسلامي من بين أهم القضايا التي كانت ولا تزال محل جدل منذ مرحلة الاحتلال الغربي على عدد من مجتمعاتنا الإسلامية. وقد واكب هذه المرحلة وما تلاها مخالفة كثير من المسلمين لتعاليم الدين الإسلامي، وخصوصًا ما يتعلق بالنساء وقضاياهن، أدت إلى عدم إيفائهن حقوقهن كاملة وفق ما نصت عليه التشريعات الإسلامية، كما أن إعلاء ثقافة الأعراف، وبعض التقاليد التي تسهم في هذا الجانب أدت إلى مزيد من التراجع لدور المرأة المسلمة في المجتمع بما يتفق والمظلة التشريعية الإسلامية، هذا المناخ تم توظيفه من قبل الإعلام الغربي في تعميم الصورة النمطية السلبية لمكانة المرأة المسلمة في المجتمع متزامنا مع ما تحمله الذاكرة التاريخية في الغرب من معتقدات متميزة وعدائية تجاه الإسلام والمسلمين بشكل عام، وللمرأة المسلمة على وجه الخصوص، والذي تمثل في مهاجمة الإسلام والتشكيك في تشريعاته واتهامه بأنه لم ينصف المرأة بل مارس عليها القهر والتخلف. ولم تتوقف الآلة الإعلامية الغربية عن تعميم هذه الصورة النمطية عن المرأة وعززها ما شهدته

العقود الأخيرة من القرن العشرين الميلادي من اهتمام متزايد بقـضية حقـوق المرأة في العالم وعقد المؤتمرات والاتفاقيات التي تتعارض في بعض بنودها مع التشريعات الإسلامية وتشكل خطرًا على المنظومة الأسرية في المجتمع المسلم، مما يستدعي إلقاء الضوء على ملامح هذه الصورة النمطية للمرأة المسلمة فـي الإعلام الغربي، خصوصًا في هذه المرحلة من تاريخنا المعاصر بعـد أحـداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ومعاييرها ومسبباتها ومدى مقاربتها للواقـع الاجتماعي للمرأة المسلمة، وما الذي ينبغي على المجتمعات الإسلامية اتخـاذه حيال هذه الهيمنة الثقافية الغربية؟

خصوصًا أن ما يقدمه الإعلام الغربي هو محاولة دحض الإسلام وإضعاف القيم الإسلامية تحت مسميات كثيرة، منها: العولمة والانفتاح والحداثة، ووسيلته في ذلك المرأة المسلمة فهي الأساس في أي تغيير ثقافي أو اجتمـاعي فـي أي مجتمع.

أهداف الدراسة

بما أن موضوع المرأة المسلمة هو موضوع الـساعة، وحـديث المرحلـة خاصة بعد أن أصبحت هدفًا للتيارات الفكرية الهدامة التي تريد أن تشككها فـي دينها وقيمها بإثارة الشبهات حول حقوقها وواجباتها، وذلك من خلال عدد مـن الوسائل منها تأطير وضعها الاجتماعي في الإعلام الغربي والصحافة على وجه الخصوص وفق صورة نمطية تسلبها من إنسانيتها ودورها الأمومي والأسـري والاجتماعي. فإن أهداف الدراسة ستناقش الآتي:

١- معرفة معايير الصورة النمطية للمرأة المسلمة في الإعلام الغربي.
٢- تحديد العوامل التي أسهمت في صياغة هذه الصورة للمرأة المسلمة.
٣- معرفة مدى مقاربة هذه الصورة للواقع الاجتماعي للمرأة المسلمة.
٤- ما الذي يجب علينا اتخاذه تجاه تصحيح هذا الواقع ثم الصورة النمطية.

مفاهيم الدراسة

الصورة النمطية Stereotype

إن مفهوم الصورة النمطية الذي أطلقه والتر ليبمان (Libbman) في أوائل القرن العشرين الميلادي[١]، يصلح أساسًا لكثير من عمليات التأثير التي تقوم بها وسائل الإعلام الغربي تجاه وضع المرأة المسلمة في المجتمع، فنجد أن ما جاء في تعريف والتر ليبمان عن هذه الصورة النمطية، وأنها ذلك التصور المحدود عن واقع المرأة المسلمة فنجد أن وسائل الإعلام الغربي بشكل عام تصنع واقعًا آخر غير الأصلي، فيتم التركيز على جزئيات من أحكام التشريع الإسلامي فيما يتعلق بالجوانب الاجتماعية والقضائية والاقتصادية والثقافية في المجتمع المسلم واقتطاعها من سياقها المجتمعي، ثم توظيف ثغرات تطبيقها من قبل البشر، وتستخدمه في صياغة هذا الواقع، والتركيز على وجه الخصوص على جوانب معينة من أدوار المرأة المسلمة في المجتمع، مما يفسر أنه انتقاصٌ لمكانتها ودورها في الحياة العامة، كارتدائها الحجاب واعتباره رمزًا ومظهرًا إسلاميًا يستوجب حظره، لأنه مؤشر تخلف يبقي المرأة عاجزة وممنوعة من المشاركة في الحياة بحرية واستقلالية، وكذلك قضايا الميراث وتعدد الزوجات دونما فهم للحكمة من تشريعاتها.

وغالبًا ما تتم في هذه الصورة النمطية تصوير المرأة المسلمة بأنها ذات مركز متدنٍ للغاية، وتتمتع بحقوق ضئيلة وسلطة دنيا في اتخاذ القرار، وأنها تطيع زوجها في كل شيء رغم أنفها[٢].

هذه الصورة يشترك في صياغتها الجماعات والأفراد في المجتمعات الغربية، بحيث تمثل رأيًا مبسطًا إلى حد الإفراط المشوه للواقع الذي تعيش فيه المرأة في المجتمعات الإسلامية بشكل عام، وتمثل هذه الصورة الرؤية المتميزة لهذا الغرب تجاه الإسلام والمرأة في الإسلام.

ونجد أن من أهم القضايا التي يحتج عليها الغرب، ويبرزها فـــي وســـائل الإعلام عن المرأة المسلمة وعن ظلم الإسلام لها – كما يدعون– الآتي:

- التعصب والمعاملة السيئة للمرأة وإجبارها على الحجاب.
- منعها من المشاركة في أي نشاط مع الأجانب من الرجال.
- احتياجها لإذن الأب أو الزوج عند السفر.
- تعرضها للرجم في حالة الزنا.
- استعمالها لمداخل مخصصة في المنازل (٣).

ويرون أن هذه المعاملة تستحق الثورة لأنهـــا تجـــرح الحقـــوق الـــسياسية للإنسان. هذه الصورة النمطية تتكرر، وهي تفسر التشريعات في الإسلام ومـــن المنظور الغربي الذي لا يفهم الحكمة منها فيصفها بالتخلف والقمع ودونية المرأة في الإسلام.

الإعـــلام الغربي

تبرز وسائل الإعلام باعتبارها أهم وأخطر المؤسسات الاجتماعية التي تسهم بدور فاعل ومؤثر في صياغة الصور النمطية فـــي العقـــل فـــي المجتمعـــات الحديثة، وكما يشرح عبدالقادر طاسن عن وجود عالمين مختلفين يعيش فيهمـــا الإنسان عمومًا – وإنسان العصر خاصة – أحدهما قريب وهو محيطه المباشر الذي يستقي معلوماته منه بنفسه مباشرة، أما العالم الآخر فهو عالم بعيد وهو ما لا يستطيع إدراكه مباشرة فيلجأ إلى استقاء معلوماتـــه عنـــه بواســـطة وســـائل الاتصال والتفاعل الاجتماعي، وهذا العالم المنقول (Reported World) هو الذي يتألف من الصور النمطية التي تصنعها أو تنقلهـــا وســـائل الإعـــلام بالدرجـــة الأولى(٤).

ومما لا شك فيه أن وسائل الإعلام في الغرب تقوم بصياغة صور مسيئة للإسلام والمسلمين وترويج هذه الصور النمطية السيئة وترسيخها في العقل في المجتمعات الغربية.

إن الإسلام كان وما زال أكثر الأديان تعرضًا للإساءة في الغرب، كما أن العرب والمسلمين هم أكثر شعوب الأرض حظًّا من التشويه والتجريح في تاريخ المجتمعات الغربية، واتهامه بالتعصب والعنف، ونجد أن كارين آرمسترونج ترد على هذه التهم بقولها: العكس هو الصحيح، ففي الإسلام لا يكتمل إيمان المسلم ما لم يؤمن بالأديان الأخرى والأنبياء الآخرين، وأنه لا إكراه في الدين، في حين نحن الغربيين مازلنا إلى اليوم لا نعترف بالنبي محمد – صلّى الله عليه وسلّم- فالعرب أكثر تسامحًا ورفقًا من الغربيين اليوم.

ولا تزال الصحافة الغربية السائدة (mainstream press) تحمل عقدة الإسلام وتتوجس منه، سيما حينما يدخل الإسلام في قضية أو نقاش، مثلاً الحجاب في فرنسا، والوجود الإسلامي في أوربا ككل (٥).

وبما أن المحتوى الذي تم استعراضه في الدراسة يرتبط بالصحافة بصفتها إحدى وسائل الإعلام الغربي، فإن ما ينشر فيها عن الإسلام والمسلمين والنساء على وجه الخصوص لا يتم من نقص معلومات عن هذا الواقع الإسلامي أو سوء فهم بل هو تحامل وتحيز يعاد إنتاجه باستمرار، لأنه يرتكز على مفهوم أن الحرب بين الإسلام والمسيحية مقدسة، وحتمية، وأبدية، والكثير من الكتاب الغربيين الذين أعادوا اكتشاف الظاهرة الإسلامية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي رددوا الشعارات إياها: الخطر الأخطر، والتحدي الإسلامي، وتخوفوا من كل مظهر إسلامي أو ما ينبئ عن العودة إلى الإسلام، مهما كان رمزيًا أو غير رمزي كحضور المساجد أو قراءة القرآن، وربطوا ذلك غالبًا بالتعصب والأصولية (٦).

وقد اختلف الباحثون والدارسون في الغرب في تحديد الأسباب التي تجعل الغربيين يواصلون إعادة إنتاج تلك الصورة، كما تختلف تفسيراتهم لهذه الظاهرة، فبعضهم يرى أن التراث الغربي الحافل بالعداء للإسلام، والذي تراكم عبر العصور لا يزال يدفع الغربيين إلى اتخاذ مواقف سلبية من الإسلام والمسلمين.

أما هشام الشرابي فيحدد أن مصدر التشويه في الصورة للعرب والمسلمين في الغرب ليس مجرد جهل، ولكنه نمط محدد من المعرفة تمتد جذورها إلى عداء ديني وعرقي تجاه العرب والإسلام، ولهذا هو يرى أن الإكثار من المعلومات عن العرب والإسلام، وتحسين نوعيتها غير كافيين لحل هذه المشكلات، فالحقائق في النتيجة النهائية تذوب في نمط التفكير السائد لدى مستقبليها، وهذا النمط هو الذي يصعب تغييره [٧].

متغيرات الدراسة

من الأهمية بمكان أن يتم تحديد التصورات الأساسية، والمفاهيم المستخدمة، والأهداف التي يمكن طرحها لجمع معلومات تفيد في توضيح الصورة النمطية التي يبثها الإعلام الغربي عن المرأة المسلمة، وتوضيح العلاقة التي تربط المرأة المسلمة بتلك الصورة المتميزة التي يعتمد عليها الإعلام الغربي ليحكم على الإسلام ككل بين متغيرات أساسية، وأخرى تابعة متمثلة في تنميط السلوك وتفاعل المرأة مع الجماعة المنمطة ومتغيرات أخرى، جعلت الصورة في حاجة إلى مزيد من التوضيح.

الجانب المنهجي للدراسة

استعانت الباحثة من أجل توضيح مسببات الصورة النمطية للمرأة المسلمة في الإعلام الغربي من خلال اختبار عينة من الصحف الأجنبية، واتباع منهج

تحليل المضمون لتلك الصحف للخروج بنتائج توضح معـــايير هـــذه الـــصورة النمطية.

الإطار النظري للدراسة

إن عملية التنميط الاجتماعي (Social Stereotyping)[٨] التي تؤثر في إدراك الفرد وتفاعله الاجتماعي مع الآخرين، وتوضح طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الجماعات، ولقد قام ليبمـــان (W. Lippmann) بتحلـــيلات لهـــذه العمليـــة فـــي العشرينيات من القرن الماضي وقام ألبورت بدراسة عن التعصب في منتـــصف الخمسينيات، ولأهمية عملية التنميط الاجتماعي خصوصًا في موضـــوع هـــذه الدراسة فإننا نجد أنها تعتمد في تكوينها على عمليات معرفية أخرى: كالتصنيف والتعميم يلجأ إليها الفرد من أجل تبسيط المعارف والمعلومات الغزيرة والمعقدة التي يتلقاها من محيطه الخارجي بشقيه المادي والاجتماعي، ومع ذلك فالصورة النمطية لا تتساوى مع التصنيف، لأن التصنيف مفهوم حيادي مجرد من أحكـــام القيمة، يطلق على الخصائص والسمات التي تميز جماعة معينة من غيرها وهي هنا (المرأة المسلمة) مقارنة بالمرأة المسيحية مثلاً، في حين أن الصورة النمطية هي تصور مفرط في التبسيط (over-simplified) وتعميم مبالغ فيه ثابت نـــسبيًا ومليء بأحكام القيمة يرتبط بالفئة كعلاقة ملاصقة لها ودالة عليها. ويـــتم هنـــا تصور الغرب وإدراكه لجميع أعضاء الجماعـــة (المـــسلمة) بطريقـــة واحـــدة متشابهة، متغاضين عن الفروقات الفردية الموجودة بينهم، وبحكم طبيعـــة هـــذه العملية المعرفية يتم تجميع أفراد هذه الفئة (المـــسلمة) والنـــساء علـــى وجـــه الخصوص في صورة نمطية جامدة بناء على معرفتهم – أي الغرب – بعـــض الحقائق البسيطة عن المسلمين ومعلومات ضئيلة حـــول حيـــاتهم وتـــشريعاتهم، وأحيانًا نتيجة لمرورهم بتجارب الحروب الصليبية وعدائهم لهذا الدين، وأحيانًـــا

كثيرة يتم التنميط من دون هذا كله، وبخاصة عندما يتعذر الاتصال والتفاعل بين الفئة التي تمارس عملية التنميط، وهم الغــرب مــن خــلال وســائل الإعــلام والصحف على وجه الخصوص وبين المسلمين والنساء منهم، الذين يتم حشرهم في صورة نمطية جامدة.

حيث نجد إن الطريقة التي يتم بمقتضاها تجميع المسلمين والنساء منهم فــي هذه الصور النمطية الثابتة تحدث من خلال زج الجماعات وحشرهم في صــور نمطية جامدة، فيتم أولاً بتحديد الفرد لفئة من الأفراد (مبدأ التصنيف) ثم قيامــه بعدها بعزو (Attribute) مجموعة من الخصائص والسمات إلى هؤلاء الأفــراد، ثم في النهاية يقوم بعزو هذه الخصائص إلى أي شخص ينتمي إلى هــذه الفئــة (مبدأ التعميم).

ومن هذا المنطلق يمكن تعريف الصورة النمطية بأنهــا تــصور يوصــف بالتصلب والتبسيط المفرط لجماعة ما، يتم على ضــوئه وصــف الأشــخاص الآخرين الذين ينتمون إلى هذه الجماعة وتصنيفهم استنادًا إلى مجموعــة مــن الخصائص والسمات لتلك الجماعة.

وفي أحيان كثيرة عندما لا تتوفر معلومات كافية للفرد عن الآخرين، فإننــا نجده يلجأ إلى هذه الصورة النمطية ليس بها هذا النقص بطريقة تدعم اعتقــاده النمطي عنهم، وبذلك تكون الصورة النمطية قد عملت علــى تحريــف الواقــع وتشويه الإدارات.

ومع أن تاجفل (Tajfel) [٩] وأصحاب الاتجاه الاجتماعي لا يقللون من دور عمليات (التصنيف والتعميم)، إلاَّ أنهم يرون أن تكوين هذه العملية يتأثر أيــضًا بثقافة المجتمع وقيمه ومعاييره.

وهكذا نجد أن الصورة النمطية التي تمّ من خلالها تصنيف النساء المسلمات بأنهن مهضومات الحقوق، ومسلوبات الحرية وأن الحجاب يعزلهن عن الحياة وأن عدم الاختلاط خصوصًا في المملكة العربية السعودية هو نوع من التمييز ضد النساء. جميع هذه الخصائص يتم تعميمها وفق جهل بالفرق بين الأحكام التشريعية وبين النموذج الغربي الذي يستمد مرجعيته من القوانين الوضعية. وهذا هو التنميط السلبي الذي يتم من خلاله محاكمة الأدوار الاجتماعية للمرأة المسلمة وفق الثقافة الغربية، ومضمون الاتفاقيات والتشريعات الغربية التي تلغي دور الدين في الحياة. وفي هذه الصورة نجد أن وسائل الإعلام الغربي تعزو الاتهامات للإسلام، وتشكك المرأة المسلمة في تشريعاته، وتعمم ثغرات الممارسة الاجتماعية، وعدم التطبيق لهذا التشريع مما يسهم في الإساءة إلى مكانة المرأة المسلمة في المجتمع.

دعـوة للتواصل من أجل التفاهم المشترك

ما يحدث الآن في وسائل الإعلام الغربية –خاصة أمريكا–[١٠] سوء فهم للمسلمين وللدين الإسلامي الحنيف، فالغرب هو أكثر إساءة لنا ولديننا الحنيف، لذا فإن واجب العدل المنطلق من الدافع الديني والأخلاقي يقتضيان التخلي عن موقف الصدام الخاطئ بين المسلمين والغرب، لكي يحل محله التفاهم المبني على الموضوعية في البحث والإخلاص للحق، فنحن كمسلمين نلتقي مع النصارى واليهود لأننا جميعًا نؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالحساب وبالجنة والنار وبكرامة الإنسان وحقوقه المشروعة، والمساواة والعدل، وتحت تأثير الصد والكراهية نجد النصارى لا يؤمنون بخاتم الأنبياء ولا يعترفون بالقرآن، ويوجهون الكثير من الشبهات التي لا تقوم على سند موضوعي، لكنه في ظل الانفتاح الغربي كان ضروريًا إزالة تلك الشبهات، فالأديان السماوية

التي نزلت من عند الله تبارك وتعالى كلها تحمل اسم الإسلام وأيد ذلك القـرآن الكريم، ولما كانت رسالة النبي محمد بن عبدالله – صلى الله عليه وسلم– هـي ختام الرسالات الإلهية فإنها تتضمن كل الرسالات السابقة، لكن أيّاً من الرسالات السابقة لا تتضمن الرسالة الخاتمة التي تقوم على القرآن، وهو وحـي مـن الله مكتوب وموثق بمنتهى الدقّة ولم يدخل فيه أي اجتهاد بشري فهو بمثابة دسـتور دائم موثوق كل الثقة لا يشبه كلام البشر لا في المضمون ولا في البناء، فهـي من نتاج الأهواء والمصالح الدنيوية العاجلة، والآن نوجه الخطاب والحديث إلى تلك المجتمعات الغربية وخاصة المجتمع الأمريكي ليكون هنـاك حـوار بنـاء ولقاءات موسعة من أجل التعاون على الخير والالتـزام بـالحق وفهـم الـدين الإسلامي فهمًا حقيقيًا، والسعي نحو المزيد من التلاقـي والإخـاء، بـدلاً مـن النزاعات القائمة بين المسلمين والمسيحيين والتي تدعمها الأوسـاط الحاكمـة، والمصالح الغربية في تشاد وأثيوبيا، والخلافات الحادة التـي ضـخمتها القـوة الغربية بين الهندوس والمسلمين في الهنـد وبـين المـسلمين والبـوذيين فـي سريلانكا، وبين السنة والشيعة في العراق وفي أماكن أخرى بالشرق الأوسـط، حيث تسعى القوى الغربية باستخدام القوة المسلحة إلى التدخل لإثارة النزاعـات القومية والدينية والدولية، من أجل إبعاد شعوب العالم عـن ثرواتهـا الطبيعيـة الهائلة، وتدمير ثقافتها العريقة، ونتيجة لأن القدرة الدفاعية والنظـام الـسياسي والثقافة الوطنية لدى شعوب الشرق الأوسط كانت مقترنة بالإسلام، فإن الغرب قد بذلوا قصارى جهدهم لتقويض مكانة الـدين الإسـلامي وتحقيـق أهـدافهم المنشودة (١١).

ولقد سعت الحملات الغربية المغرضة لإبادة الملايين من البشر من مختلف الأديان، وتسببت في خسائر مادية هائلة بهم، وألحقت ببلـدان الـشرق الأدنـى ضررًا فادحًا، مما دفع بالشعوب الإسلامية إلى تحميـل جميـع ويـلات تلـك

الغزوات الأجنبية والتدمير والاضطهاد من جانب الغرب، حيث كان يلازمهم – على حد قول الكاتب الاجتماعي والسياسي الناقد الروسي البارز "بيلينسكى"– بأنه كان يلازم الغرب الجهل والأنانية والكفر المختلط بالتعصب الأعمى الوحشي والتعطش إلى سفك الدماء في فرض الرقابة المباشرة على تجارة توابل الشرق الأوسط ومصنوعاته ثم الحصول على المعادن النفيسة، وقد كانت تلك السياسة المغرضة ضربة قوية جدًا إلى نظام العلاقات التجارية الإسلامية سواءً في الهند، أو في حوض الخليج العربي، وشمال وشرق أفريقيا.

ويبدو ذلك جليًا من خلال الاعتداءات على المجمتمع الأمريكي في ١١ سبتمر، والتي أصابت المجتمع الأمريكي خاصة بالذعر وعدم التصديق بما حدث، حيث اعتبرت الصحافة الأمريكية ما حدث في هذا اليوم بمثل أسطورة أصابت الاقتصاد الأمريكي في مقتل وضربته في العمق (نيويورك وواشنطن) ليس فقط على المستوى الأمريكي، ولكن أيضًا على مستوى الدول الغربية التي أصابها الهلع والخوف مما حدث في أمريكا [١٢].

وجاء رد الفعل قاسيًا ومريرًا في محاولة لقاء الرئيس الأمريكي مع قادة المسلمين والإدارات التي يعمل بها المسلمون في أمريكا لبحث الموقف والكشف عن أبعاده الحقيقية، وجاءت نقطة البداية للتخطيط من أجل الانتقام بدءًا من أفغانستان وانتهاءً بالعراق، وما بينهما من سوريا وفلسطين ولبنان وبلاد أخرى عربية تدين بالإسلام، من هنا وجهت الحكومات الغربية جل اهتمامها لمحاربة الإسلام، وذلك باستخدام القوة العسكرية وما نتج عنها من تدمير لتلك البلدان واستمرار اتهام الإسلام بالعنف [١٣].

في معرض الرد على اتهام الإسلام ونبيّ الإسلام بالعنف والتعصب تشير "كارين آرمسترونج"[١٤] إلى أن العكس هو الصحيح، ففي الإسلام لا يكتمل إيمان المسلم ما لم يؤمن بالأديان الأخرى والأنبياء الآخرين، وإنه لا إكراه في الدين،

في حين (نحن الغربيين) ما زلنا إلى اليوم لا نعترف بالنبي محمد – صـــلى الله عليه وسلم– فالعرب أكثر تسامحًا ورفقًا من الغربيين اليوم، لكن الغرب يـــسعى اليوم بكل قوة إلى سحق الشخصية العربية وإذلال المسلمين، ولذلك فإن الكاتبـــة تحمل الغرب مسئولية حالة اللاتوازن والعنف والتعصب التي يعيـــشها الـــشرق العربي الإسلامي.

تضيف الكاتبة حقيقة هامة مضمونها: أننا نستطيع أن نعرف عن محمـــد – صلى الله عليه وسلم– أكثر مما نستطيع أن نعرفه عن مؤسس أي من الأديـــان العالمية الأخرى، وهذه محاولة جادة لرسم صورة تيسر الحـــصول علـــى فهـــم للإسلام أكثر دقة وعمقًا، وهذه انطلاقة شجبت فيها العلمـــاء الغـــربيين الـــذين وصفوا الإسلام بدعوى أنه دين تجديفي وشجبوا نبيهم – صلى الله عليه وسلم– بدعوى أنه المدعي الأكبر الذي أسس دينًا استخدم فيه السيف لكي يفتح العـــالم، (والكاتبة راهبة كاثوليكية رومانية) فقد أصبحت هذه الصورة غيـــر الـــصحيحة للإسلام إحدى المثل المتوارثة في أوروبا وما تزال تؤثر في مفاهيمنا عن العالم الإسلامي.

تفضي الكاتبة بتلك المقولة التي محتواها: أنه من الأخطاء الفادحة أن نرى في الإسلام، وكما يقول البعض أحيانًا أن الإسلام دين عنف أو تعصب، فالإسلام في تصورنا ليس في عدوانية شرقية أو شيء ضد الغرب فهو ديـــن عـــالمي، ومعظم الغربيين لا يعرفون ما يكفي عن التراث الإسلامي، وكانـــت الـــصورة المستخدمة في رسوم الكاريكاتير، والإعلانات، والمقالات الشعبية ناجمـــة عـــن مخاوف غربية قديمة عميقة الجذور من وجود مؤامرة إسلامية للاستيلاء علـــى العالم.

بات من الصعوبة بمكان على الغربيين تفهم رد فعل المسلمين العنيف إزاء الصورة التي قدمها "سلمان رشدي" عن النبي – صلى الله عليـــه وســـلم– فـــي

روايته التي سماها "آيات شيطانية"، والحقيقة أن تـاريخ العلاقـات المـسيحية والإسلامية قد بدأ بالتهكم على محمد – صلى الله عليـه وسـلم– فـي أسـبانيا المسلمة، وكان معظم الأسبان يشعرون بالاعتزاز لانتسابهم إلى الثقافة العربيـة الإسلامية [١٥].

فالمصدر الأساسي أمامنا والذي يمكن الرجـوع إليـه للحـصول علـى المعلومات الصحيحة والموثقة هو القرآن إلا أنه ليس عرضاً لحيـاة محمـد – صلى الله عليه وسلم–، فالقرآن يتحدث عن الخالق أكثر من تحدثه عن رسوله، لكنه يزودنا بمادة ذات قيمة عن تاريخ الجماعة الإسلامية المبكر.

من الأساطير والخرافات التي نشرت عن النبي – صلى الله عليه وسـلم– منذ القرون الوسطى وحتى يومنا هذا، تلك المقولة التي تفصح عن أن النبـي – صلى الله عليه وسلم– ساحر كبير استطاع عن طريق السحر والخداع تحطـيم الكنيسة في أفريقيا وفي الشرق، وأنه سمح بالدعارة والغـش لكـسب الاتبـاع، وكانت دعوى التحلل الجنسي للمسلمين وصولاً إلى القول بـأن القـرآن نفـسه يتساهل ويتسامح مع اللواطيين، من أكثر القصص والموضوعات التي انتشرت في المؤلفات الأوروبية عن الإسلام، فقد صُوِّر النبي – صلى الله عليه وسـلم– على أنه كاردينال للكنيسة الرومانية الكاثوليكية ثم هرب إلـى شـبه الجزيـرة العربية، ومن أجل الإيثار والانتقام أسس ديانته الجديدة، فقد سادت فـي وعـي الأوروبيين ملامح اللوحة التالية عن الإسلام: أنه عقيدة ابتدعها محمـد، وهـو يتسم بالكذب والتشويه المتعمد للحقائق، أنه دين الجبـر والانحـلال الأخلاقـي والتساهل مع الملذات والشهوات الحسية، أنه دين العنف والقسوة [١٦].

فاتهام الإسلام بأنه دين السيف والعنف، دين تخلى عن الروحانيـة الحقـة بتقديس العنف وعدم التسامح لا أساس له من الصحة، إن رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم– الاجتماعية كانت مكملة لرؤيته الدينية، فعندما يحـث القـرآن

المسلمين على تأمل آيات الله في العالم الطبيعي، فإنه ينمي فيهم شعورًا بالترتيب الإلهي، فالمسلمون بالفطرة دون أن يكون لهم خيار شخصي، يستسلمون لمشيئة الله تبارك وتعالى [١٧].

هذا يعني أن الإسلام دين عملي وواقعي، فالذكاء البشري والوحي الإلهـــي يعملان بانسجام جنبًا إلى جنب، فقد أخذ النبي على عاتقه مهمة تحرير التـــاريخ البشري، وخلق مجتمع عادل يمكن للرجال والنساء فيه مـــن تحقيـــق طاقـــاتهم الكامنة الحقيقية، لقد استطاع محمد – صلى الله عليه وسلم– أن يخلق مجتمعًـــا قويًا ومستقلاً عن الفوضى المحيطة به في المدينة [١٨].

إن عولمة الحياة الإنسانية المعاصرة تشكل في الواقع إحدى السمات الكبرى لعصرنا الحاضر، فالنمو المتصاعد للنقل النوعي للبلدان النامية فـــي الاقتـــصاد العالمي وفي السياسة الدولية ونهضتها الثقافية والتأثيرات المتسارعة لمنجـــزات الثورة العلمية التقنية، وعمليات الهجرة إلى مجتمعات وقارات أخرى، وتطـــور وسائل المعلومات والاتصال الجماهيري والسياحة العامة، كل هـــذه المعطيـــات غيرت وجه العالم، وغيرت رؤية الناس وإدراكهم لهذا العـــالم الجديـــد أيـــضًا، والعالم كله اليوم يدرك ويعي بوضوح ذلك الدور الفعّال الـــذي كـــان لـــشعوب الشرق الأدنى وثقافتها وتجاربها الروحية ودورها في نشوء الحضارة الأوروبية وتطورها، وفي المرحلة الأخيرة من القرون الوســـطى كـــان للثقافـــة العربيـــة الإسلامية دور المنافس والمعارض عقليًا وروحيًا كملونات الحضارة الأوروبية وقتها، ولذا كان ضروريًا فهم العلاقة المتبادلة بين الحضارة الإسلامية والعربية وبين الحضارة الأوروبية [١٩].

والواقع أن العلاقات بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الأوروبيـــة ظهرت في المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والعسكرية والدينيـــة، بـــل يمكن القول إن الموقف من دين المسلمين كان متناقضًا ومتباينًا من فئة اجتماعية

إلى أخرى، ولكن الموضوعية تقتضى أن نعترف بحقيقة أن السياق الداخلي الاجتماعي الثقافي للعالم العربي الإسلامي هو السائد [٢٠]، وأن التصور النمطي المشوه عن الإسلام لم يتشكل بحسب وبسبب ضعف معرفة الأوروبيين بهذا الدين فحسب، حيث يشير الدارسون إلى وجود عناصر أسهمت في تشكيل هذه القوالب النمطية وهي الميتولوجية واللاهوتية والعقلانية.

فمن خلال عرض واقع التصورات الغربية عن الإسلام عبر مراحل التاريخ تتكشف الصورة واضحة وجلية عما انتشر في تلك المجتمعات من تصورات مشوهة عن الإسلام والمسلمين، وهي في الحقيقة تصورات تصدم وتقلق مشاعر المسلمين في أغلب الأحيان، ولذا كان ضروريًا على أصحاب الدين الحنيف أن يتعرّفوا على وجهات النظر الغربية وما يسود فيها، لأنها لا تزال تشكل الخلفية الفكرية لما يدور في الأوساط الغربية اليوم، وبخاصة في وسائل إعلامهم المغرضة المشوهة لحقيقة الإسلام ولتعاليمه وآدابه، وهذا ما يحفز المسلمين على أن يعملوا بأسلوب علمي بعيدًا عن الانفعالات والعواطف على تصحيح هذه التصورات الخاطئة عن الإسلام نظريًا، وعمليًا على مسارات السلوك الإنساني[٢١].

والمرأة في سائر المجتمعات الإنسانية التي تختلف فيما بينها في العوامل والأسباب التي يتكون منها كافة الحقوق والواجبات، لها حقوق وعليها واجبات، والمجتمعات الغربية لا تتقيد ولا تلتزم بنظام مكتوب أو معلن في هذه المسألة، وإنما يخضع ذلك لدافع غريزي ومادي يحكمه وينظمه، بينما في المجتمعات الإسلامية تخضع لما تمليه مبادئ الشريعة الإسلامية، بينما الواجبات لدى المرأة تتمثل في عبوديتها لله –عزّ وجلّ– وكذلك عبودية الإنسان، وكلاً من الرجل والمرأة مملوك لله – عزّ وجلّ–، فالواجبات واحدة ومحدّدة، وتعتبر الوظيفة المقدسة للمرأة هي رعاية الطفولة وتنشئتها على منهج سوي وقويم، فضلاً عن ذلك خروجها مع الرجل إلى ميدان الجهاد.

وعلى هذا يمكن القول أن مصدر الواجبات التي كلف بها الله –عزّ وجلّ– المرأة إنما هو واقع عبوديتها لله –عزّ وجلّ– ومصدر الحقوق التي متـــع الله –عزّ وجلّ– بها المرأة هي عن طريق دينه الحنيف وشريعته السمحاء، فإنما هو إنسانيتها فإن تساوت المرأة والرجل في الإنسانية فإن ذلك يستوجب تـــساويهما أيضًا في الحقوق والواجبات(٢٢).

مصدر واجبات المرأة وحقوقها من واقع المجتمعات الغربية

يعتبر سلطان المصالح المادية ولا شـــيء غيرهـــا، والـــشعارات البرّاقـــة المغرضة عن الحرية والديمقراطية، والحقوق الإنسانية، هي الواجبـــات التـــي تُكلف بها المرأة الغربية اليوم، حيث إن العامل المـــادي الـــذي يـــسيطر علـــى المجتمعات الغربية هو في الواقع أهم الدعائم التي لا بد منها لإقامـــة المجتمـــع الإنساني، وفي نطاق حياة المجتمع الغربي نجد أن هذا المجتمع لا يقـــيم وزنـــًا لغير العامل المادي، في حين أن المبادئ الإسلامية والقيم الدينيـــة تنظـــر إلـــى العامل المادي على أنه أحد العوامل لإقامة المجتمعات، ولكنه ليس العامل الوحيد كما حددته المجتمعات الغربية، فالمرأة مكلفة بهذا الدافع المادي بإعالـــة نفـــسها سواء كانت فتاة في بيت أسرتها، أو زوجة في بيت زوجها، وتقديس المادة أمر ضروري ودعامة هامة لإقامة المجتمع الإنساني الرغيد، فمتع الحياة في المجتمع الغربي كثيرة لا حدّ لها مقابل الأثمان الباهظة، ولهذا تأتي المنافسة مـــن أجـــل الحصول على المزيد من المال(٣٢).

ولما كانت المادة هي دعامة المجتمع الغربي، وهي مصدر سائر الواجبات التي يكلف بها أفراده، فإن ذلك يظهر رد الفعل المباشر وغيـــر المباشـــر فـــي القضاء على الأسرة وتدمير كل مقومات حياتها، فضلاً عن تعريض أنوثة المرأة للدمار في المجتمع الغربي، وإقصائها وإبعادها عن إمكانيـــة التفـــرغ لرعايـــة

أبنائها، وأداء واجب تربيتهم وتنشئتهم النشأة السليمة القويمة، فالمرأة في هذه الحالة تقدم أنوثتها وكرامتها قربانًا في سبيل حياتها وضروريات ومستلزمات معيشتها، ومن يغوص في أعماق تلك المجتمعات هو وحده الذي يدرك أن هذه الصورة هي غلاف خادع برّاق لتعاسة حقيقية تستشرى في حياة السواد الأعظم من النساء والفتيات اللائي يعشن بعيدًا عن الديكور والتألق، لذلك تلجأ النساء الأوروبيات إلى ممارسة الأعمال الشاقة المجهدة التي لا يتحملها الرجل، حيث إن المادة والمال هما محور حياة الغرب (٢٤).

والإسلام نقل بذلك المرأة من مرارة التخلف والذلّ والضياع وبهدوء وسكينة إلى علياء التقدم والعزة والأمن والكرامة، تلك الصفات الحميدة التي افتقدتها المرأة في المجتمع الغربي، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحدّ بل امتدت مظلة الإسلام لتشمل تكوين وتدعيم شخصية المرأة تكوينًا كاملاً وشاملاً في جميع جوانبها الشخصية، والفردية، والأسرية، والاجتماعية، وأعطاها كافة حقوقها التي تضمن وتكفل لها حياة مستقرة.

وعن مصدر هذه الحقوق عند المرأة في المجتمع الغربي، والتي ينادي بها في كل مناسبة حصول المرأة على كامل حقوقها التي تتمثل في حريتها الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وأن تكون مساوية للرجل في كل الشؤون وسائر الظروف ومختلف الأحوال، فالقوانين التي تنص على حقوق المرأة في الغرب قوانين مطلقة ومصدرها من واقع هذه المجتمعات هو أنوثة المرأة (٢٥).

حالة المرأة قبل الإسلام

لم تتمع المرأة بحقوقها الأساسية والكاملة قبل الإسلام، وكانت حقوقها في الميراث مهدرة، بل كانت تورث مع بقية المورثات كما يورث المتاع، والموت مصيرها على يد أقرب الناس إليها، وكانت تعاني من طغيان الرجل، فهي

مملوكة له في كل شيء، وهي مملوكة لزوجها في المجتمع اليهودي، وقد كــان ذلك شائعًا عند الفرس والرومان والهندوس والصين واليونان، فهي سلعة وهــي كالموءودة عند اليهود، وهي مخلوقة ضعيفة عند اليونان، تتعرض لأبشع أنواع القتل عند الرومان، وعند ظهور الإسلام كانت تتعرض لأقــسى أنــواع الظلــم والقسوة (٢٦).

وفي العصور القديمة

كانت المرأة ممتهنة في العصر الجاهلي وعارًا وإثمًا يجب التخلص منــه، وانتشرت عادة وأد البنات حتى جاء الإسلام وحرَّمها، وكان الرجــال يــدعون لأمهاتهم عند الرومان، فالمرأة رقيق للرجل لها حقوق القاصر، وهي كــائن لا نفس لها ولن ترث الحياة الأخروية. وهي رجس من عمل الشيطان، وفي اليونان والهند كانت المرأة تعتبر من سقط المتاع، تباع وتشترى وهي ملك للرجل، وفي العصور الوسطى المرأة إنسانة لكنها مخلوقة لخدمة الرجل، وهي تابعة له، وفي القانون الفرنسي المرأة محرومة من التصرفات المالية ومن أبسط الحقوق. وجاء الإسلام وكرم المرأة كإنسان وقرنها بالرجل في كل مجــالات الخيــر والعمــل والتضحية والإيمان، ولها من الحقوق ما للرجل، حيث قضى الإسلام على مبدأ التفرقة بين الرجل والمرأة، وجاءت أحكام الإسلام – فيما يتعلق بــالمرأة– فــي نظام الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة لكي تعطي للمرأة كامل حقوقها وتوضح كذلك واجباتها (٢٧).

أما موقف المرأة في اليهودية فهو موقف الاتهام فأول معصية لآدم كانــت بسبب المرأة، يوم نهى الله سبحانه وتعالى آدم وحواء عن الأكل من الــشجرة، فأتى إبليس على شكل حية وغرر بحواء فاستجابت لندائه وأكلت ثم أطعمت آدم، فكان الهبوط من الجنة، وكانت الخطيئة في الأرض، ولهذا نجد اليهود يلصقون

بالمرأة كل عمل وموقف به انحراف أو معصية، فالمرأة نبع الخطايـا وسـبب الآثام والرذائل، وهي سهم الغواية والمؤامرة، وهـي وسـيلة لتحقيـق الغايـة المنشودة بالنسبة لهم، وهي السيطرة على العالم واستعباد شعوب الأرض[٢٨].

وكانت المرأة اليهودية سلعة تباع وتورث كبقية المتاع وسائر الحيوانـات، ومن حق الآباء فهي مملوكة لأبيها، ومن حق الآباء أن يـؤجروا بنـاتهم، وأن يبيعوا بناتهم القاصرات بيع الرقيق، ويقتلوهم دون عقاب، وذلك قبل زواجهـا، وتُشترى منه بعد نكاحها، فلم تكن لها شخـصية مـستقلة، أو إرادة، فمكانتهـا وضيعة وغير طاهرة بالفطرة، وهي رأس الشر وأساس الخطيئة.

والمرأة النصرانية مخلوق من جنب الرجل، فالرجل يختص بـالتكريم فـي الإنجيل لأن الاعتقاد السائد في النصرانية أن الرجل مخلوق فـي صـورة الله، والمرأة مخلوقة من جنب الرجل، فمكانتها هابطة عن الرجل، وهي شر لا بـدّ منه وإغواء طبيعي وكارثة ملازمة، وخطر منزلي وفتنة مهلكة[٢٩]، والتـوراة جزء من عقيدة المسيحية، والمرأة عندهم سببٌ في إغواء آدم وخروجـه مـن الجنة، فهي آفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت، وفي بعض الأحيـان يلقون الزيت الحار على أبدان النساء التعيسات، ويربطون البريئات بذيول الخيل ثم يجرونهم بأقصى سرعة من أجل التسلية، ويرى النصرانيون أن المرأة هـي المسؤولة عن انتشار الفواحش والمنكرات في المجتمـع، وأن الـزواج دنـس، ويجب الابتعاد عنه، والقاعدة الدينية العامة في العلاقة الزوجيـة تقـوم علـى ضرورة إقرار(المرأة) بسلطة الرجل عليها، وهذه هي الـسمة العامـة لنظـرة المسيحية الدنيوية تكتبها قوانينهم ودساتيرهم حتى بعد الثورة الصناعية[٣٠].

وعند عرب الجاهلية

ويقصد بالجاهلية البعد عن الله وعن قيم السماء، وعرب الجاهلية لم يحكمهم قانون ولا سلطان موحد، فالعمل السيء عند بعضهم في- زعمهم- يعظمـه أو

يحسنه بعضهم البعض الآخر، وقد تباينت آراء المؤرخين حول قضية المرأة عند عرب الجاهلية، ففريق يرفع منزلتها، وآخر ينكر ذلك، ويعتبر المرأة بلا حقوق ولا كيان مستقل.

مفاد هذا كله: أن مهمة المرأة اقتصرت على العمل داخل المنزل تمارس الأمور التقليدية وفي رعاية الأولاد والرجل، وكانت المرأة عند بعض الأمم تخضع لامتهان شديد. من خلال ممارستهن لأعمال تفرض عليهن من قبل الرجال، كالبغاء والترفيه عن الرجال بكافة الوسائل وكانت المرأة تباع وتورث وتشترى بحكم القانون، وقد ابتعدت المرأة عن فهم الدين وعن التعليم، وحرموها من الحديث فيه أو السؤال عنه، فهؤلاء ينظرون إلى المرأة على أنها أساس مكمن الشر، ومبعث الهلاك، ولم تكن للمرأة الفرصة في اشتراكها في الأعمال العامة، وفي تلك الأحقاب عاشت تمارس عليها شريعة الغاب ولم يكن لها شأن في تصريف أمورها[٣١].

حالة المرأة بعد الإسلام

لقد حرر الإسلام المرأة منذ قرون ومنحها إنسانيتها، وساواها بالرجل منذ بدء الخلق، وخلق الرجل والمرأة من نفس واحدة فقال جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[النساء:١] وهكذا نجد أن ظهور الإسلام هو بداية حقيقية لتحرير المرأة من مظالم الجاهلية، من الحزن الذي يواكب ميلادها، ومن وأدها خشية العار أو خشية الفقر، ومن توريثها كالمتاع والتضييق على حريتها في الزواج، ومن ابتذال علاقاتها الأسرية عن طريق الزواج فحرم النكاح بالأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت. وكانت هذه المرأة قبل الإسلام تعامل كسقط المتاع لا أهلية، ولا ذمة،

مالية مستقلة، ولا مكانة اجتماعية، لقد منحها هذا الدين وثيقة تحريرها ليعلي مكانتها في الأسرة والمجتمع، ويمنحها حقوقها المالية والشرعية، بل تم استثناؤها في الميراث والنفقة وفق أولويات تحمل المسؤولية المالية للرجل بصفته المسؤول شرعًا عن الإنفاق عليها وعلى أسرته.

فنجد أن نصيبها لا يتوقف عند ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ الذي تم استدعاؤه في كل انتقاد يوجه للتشريع الرباني في الميراث.

ويفهم على أن مكانة المرأة في الإسلام تمثل نصف مكانة الرجل، بينما تفسير هذا يتضح من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١] أي أن ذلك بين الأخوة الأشقاء وهناك حالات عديدة تأخذ فيها الأنثى مثل نصيب الذكر، وحالات أخرى تأخذ أكثر وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أنه إذا كان الأخوة لأم أخذت الفتاة مثل نصيب أخيها وقد تأخذ الأنثى نصيبًا أكبرمن الذكر، فإن مات رجل عن ابنة وعدد من اخوته أخذت الفتاة وحدها النصف وتقاسم الأعمام النصف الباقي.

أما ما يتعلق بحقوق المرأة مقابل الرجل الأب أو حقوق المرأة الأم مقابل حقوق الابن ذاته فنجدها حقوقًا متبادلة وفقًا لقاعدة من المساواة ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ مع ملاحظة أن القرآن الكريم قام بتقديم الحقوق التي لهن قبل أداء الواجبات التي تجب عليهن فهذا هو الأصل في العلاقة بين الرجل والمرأة كزوجين باستثناء واحد ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ درجة واحدة وليست درجات وهذه هي درجة القوامة: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء﴾ فإن السنة النبوية رفعت المرأة الأم ثلاث درجات فوق الرجل الأب فعندما سئل الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن أحق الناس بحسن الصحبة أي الرعاية والطاعة ونحو ذلك قال: (أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك) هذه الدرجات التي للأم أو تلك الدرجة التي ذكرها القرآن لرجال لم تأت عبثًا ولا تفضيل دون

مقابل بل إن المقابل باهظ الثمن، فالأم حظيت بهذه الدرجات نتيجة جهد جبار لسنوات عديدة، جهد بدني عظيم، وجهد نفسي أعظم، أو كما قال الله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾.

وهذه هي فلسفة الإسلام أي العدالة المجتمعية فبقدر ما تبذل من جهد وتتحمل من مسؤولية تكون الدرجة التي تحظى بها، ولأن الرجل هو المنوط بكافة نفقات الأسرة حتى لو كانت زوجته من الأثرياء، لهذا كانت القوامة أو القيادة له في مجتمع شعاره ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.

هذه القوامة التي تستند على الشورى كأساس متين لا تمس حقوق المرأة خارج إطار القضايا الزوجية، فهي تامة الأهلية في التصرف في مالها الخاص، ورأيها السياسي وهي مواطنة تحظى بكافة حقوق المواطنة في مجتمعها الإسلامي(٣٢).

إن استعراضنا لأحوال النساء قبل الإسلام وفي بعض الديانات ثم بعد الإسلام لا يجيء تقليديًّا ولكن تفسيريًّا للعديد من الظواهر الاجتماعية المعاصرة التي تغفل هذا الجانب المعتم الذي مرت به النساء قبل أن يكون الدين الإسلامي وتشريعاته أداة التحرير الحقيقي من عبودية الأشخاص، والتقاليد، والأعراف، أو التشريعات الوضعية كما هي الآن متمثلة في مواثيق الأمم المتحدة التي يسعون لاعتبارها المرجعية التشريعية لجميع المجتمعات المسلمة. رغم ما في بعض موادها ما يتناقض مع التشريعات الإسلامية.

وإذا قارنا ما لدينا في تشريعاتنا الإسلامية مع ما هو موجود في هذه المجتمعات الغربية التي فيها كل المعايير مادية بحتة نجد أن هناك عزوفًا عن الزواج التقليدي كما أصبحوا يطلقون عليه، بعد ما كان اقتران المرأة بالرجل يتم عن طريق الزواج المعروف وتتولى الكنيسة عقد الرباط، أصبح البديل والأكثر

انتشارًا هي طريقة عقد الصداقة التي تتم رضائيًا (الرضى والقبول) بين رجل وامرأة، فيعاشرها وقد ينجب منها بدون وجود عقد شرعي أو مدني[٣٣].

أيضًا أضيف العامل الاقتصادي إلى أسباب العزوف عن الزواج إذ أن هناك مزايا (ضرائبية) تشجع على (الاقتران الحر) أي المعاشرة الجنسية دونما عقد وشروط مدنية، وهذا هو نوع من الحرية التي تمارس الآن، وأصبحت مقبولة في جميع المجتمعات الغربية، وبالطبع من نتائجها تآكل بنية الأسرة والمزيد من اللقطاء في المجتمع. كما انتشر الإجهاض، وانتشرت ظاهرة (تأجير الرحم)[٣٤] لتحقيق مزيد من الدخول المالية لبعض النساء اللاتي يقمن بتأجير أرحامهن لمن يرغب الحصول على الأطفال إما من الزوجات العاقرات أو النساء الشاذات. وتأجير الرحم هذا يتم بين الأم وابنتها أو الجدة وحفيدتها، هذا النموذج الشاذ دينيًا واجتماعيًا لا غبار عليه في ثقافة هذه المجتمعات.

الصورة النمطية للمرأة المسلمة في الإعلام الغربي

تبرز المرأة المسلمة في الإعلام الغربي كأداة توظف في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وقد عزّز ذلك اجتماع مصالح الآلة الإعلامية الضخمة التي يسيرها النفوذ الصهيوني مع أهداف المنتميات للحركة النسوية الغربية في تقديم صور نمطية مشوهة للمرأة المسلمة.

ولذا كان مهمًا أن نتعرف على منطلقات تلك الصورة ودلالتها الثقافية ومدى مصداقيتها، وما هي المعايير التي ينطلق منها هذا الإعلام في تقديم هذه الصورة.

وفي هذا السياق حول مصداقية الصورة والمعايير التي تستند إليها، يمكن التمعن في مقال أوردته الباحثة: "أرزو ميرالي" رئيسة هيئة الأبحاث لحقوق المرأة المسلمة المنشور في صحيفة (Guardin) حيث تقول: "أصبحت

المرأة المسلمة بالنسبة للصحافيات الغربيـــات نمــوذج التخـــلف ونمــوذج الاضطهاد" واستشهدت ببعض الكــاتبات الغربيات وهجومهن المكثــف علـــى المرأة المسلمة، وتؤكد أن هذه الهجمة تتسم بالمبالغة والطــرح المــتشدد الــذي يفــتقد الموضوعية بتصويره تلك المــــرأة ضــحية لمــا يــسمى بالإرهــاب الإسلامي، وتستطرد بقولها: "إن المرأة المسلمة في نظر هــؤلاء الــصحــفيين يجب أن تخلّص من هذا الــدين وعندما تتخلص منـــه فــسوف تــتخلص مــن الحجاب الذي يغطيها من رأسها إلى قدميها" وتختتم الباحثة مقالها بتقرير أن هذا الهجوم من قبل الغرب في الإعلام على المرأة المسلمة غير مبرر، وذلك كــون المرأة الغربية تعاني الكثير من المشكلات، وتتساءل لمــاذا لا توجــه الأقــلام الغربية لحل مشاكل المرأة الغربية بدلاً من توجيه النقد والهجــوم إلــى المــرأة المسلمة(٣٥).

ومن خلال المعطيات السابقة التي أوردتها هذه الباحثة حيث تجــسد بكــل وضوح عدم المصداقية والنمطية، سوف أســتمد بعضًا من المعايير التي ينطلق منها هذا الإعلام عند تناوله لقضايا المــرأة المسلمة، وأرى أن تكون الأســاس الذي أستند إليه في تحليلي لهذه الصورة النمطية. وهذا ما يتبلور في مضمون ما تناقشه المعايير التالية:

المعيار الأول: الدعوة إلى رفع وصاية الدين عن المرأة

إن من يطلع على معظم ما يحرر في هذا الجانب يلمس التعدي التــام علـــى الإسلام بهدف نقضه كدستور ومنهج وتشريع، واعتبار الدين حجر عثــرة فـــي طريق تقدم المرأة، و تزامن ذلك مع الحملة التي تنامت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ضد القرآن والرسول – صلى الله عليه وسلم– وضد شعائر الإسلام.

والشواهد على ذلك كثيرة في ذلك الإعلام ومنها انتقاد إدوارد بكنغتون في صحيفة (Guardin) أحكام الشريعة ووصفها بالمتشددة، حيث تتيح للرجل الزواج من أربع في حين لا يتاح ذلك للمرأة، وانتقد حد الزنا، وأشار إلى أن منع الاختلاط وارتداء الحجاب يعبر عن الممارسات الخاطئة للعقيدة، وذلك ليس من الإسلام وإنما تسلط من الرجال، وعبر عن استيائه من رجال الحسبة في منعهم الشباب من الاختلاط بالفتيات في الأسواق والأماكن العامة(٣٦).

كما أعربت باربرا سلافن في صحيفة (U.S.A News) عن أملها في أن تكون أحداث سبتمبر سببًا في إحداث تغييرات ثقافية واضحة في المملكة، وأن يعيد السعوديون النظر في مسألة الفصل بين الجنسين، والقيود المفروضة على المرأة كالحجاب والسفر بدون محرم(٣٧).

ويصف نيكولز كريستوف في صحيفة (New York Times) تطبيق المرأة للقيم الإسلامية في المملكة بالمعاملة غير الإنسانية(٣٨).

كما انتقدت قناة (CNN) حكومة كشمير في تطبيقها لأحكام الشريعة وذلك بإغلاق محلات بيع الكحول ودور السينما، ومطالبة النساء بالالتزام بالحجاب الشرعي.

والأمثلة السابقة وغيرها العديد، تكشف الدعوة الصريحة لهذا الإعلام في معظم أدبياته إلى إلغاء الدين من حياة المرأة المسلمة(٣٩).

هذه الدعوة تستخدم جذورها من العلاقة التاريخية التي بين الإسلام والغرب منذ القدم والنظر إليه على أنه شكل وكيان ذو صبغة واحدة ونظام صارم لا يعرف المرونة، فالعقلية التي نتجت عن الحروب الصليبية تشكل وتحدد العلاقات المشتركة بين الغرب والإسلام فقد ذكر كل من (Norama Daniel) في كتابه (Islam and the west-making of Image) وكلود كاهم (Claude Cahem) في كتابه

عن (الحروب الصليبية)[٤٠]، أن آباء ومؤسسي الحـــروب الـــصليبية اســـتعانوا لإشعال الكرة ضد كل ما هو إسلامي وخاصة ضد الرسول محمد – صـــلى الله عليه وسلم- بحملة لنشر الجهل بكل ما هو إسلامي وحجـــب كـــل المعلومـــات الصحيحة ونشر معلومات مغلوطة عنه بين الناس، وأسهمت وســـائل الإعـــلام الغربية في ترسيخ هذه الصورة المشوهة ضد الإسلام وتعاليمه.

تبلغ الادعاءات ذروتها بإلحاح وسائل الإعلام على ذكر الإسلام مـــصحوبًا دائمًا بصفات مثل "الاستبداد الشرقي" وقمع النساء المخالف لحقوق الإنسان وأن المسلمين يتمسكون بأخلاقيات بالية – من وجهة نظرهم- مثل العفة قبل الزواج، وموقف الإسلام من العلاقات خارج الزواج، والخيانة الزوجيـــة، والإجهـــاض، والشذوذ الجنسي، والحجاب، وبما أن موقف الإسلام يخالف موقف الغرب تمامًا وبشكل جوهري وعملي وهو موقف لا يتقبله الغـــرب وإذا أضـــفنا إلـــى هـــذه الادعاءات ما تنادي به (اتفاقية القضاء على جميع أشكال التميز ضد المرأة)[٤١] من إلزام الدول التي وقعت عليها بإزاحة كل العقبات الثقافية والفكرية والقانونية التي تعترض تنفيذها بما في ذلك الدين والثقافة والهوية الخاصة بل وتطهيـــر – كما يقولون- مناهج التعليم ووسائل الإعلام من كل أثر لذلك الدين وتلك الثقافـــة فيما يتعلق بمخالفتها للاتفاقية، وقد طلب من بعض الدول العربية والإسلامية أن يعيدوا قراءة وتفسير القرآن ليتفق مع الاتفاقية، وهذا يعني أن الاتفاقيـــة أصـــل وكل الأديان والثقافات فرع، يقاس عليها فإن خالفها أمر رفض، أو أزيح.

المعيار الثاني: عدم الموضوعية في عرض قضايا المرأة المسلمة

حقيقة هامة تفيد بأن معظم ما يقدم من تحقيقات ومقـــالات حـــول المـــرأة المسلمة لا يتجاوز التركيز فيها على التبعية الثقافية ومحاربة القيم الإسلامية.

ولعلنا جميعًا لاحظنا قنوات (CNN، و BBC NEWS) عندما سلطت الأضواء حول معاملة الطالبان للمرأة في أفغانستان، حيث كان محور اهتمامها الوضعية الثقافية والاجتماعية للمرأة المرتبطة بدينها وقيمها وتقاليدها، حين احتفلت بالمرأة المحررة من الحجاب بعد ذهاب الطالبان، أما ما أفرزته الحرب الأمريكية في أفغانستان من معاناة مريرة لملايين النساء الأفغانيات، والحياة القاسية المثقلة بالخوف والمرض والجوع، وقضاء فصل الشتاء بأكمله في مخيمات أشبه ما تكون بمخيمات الموت، كل ذلك لم يشكل محور اهتمام لوسائل الإعلام الغربية، ومن ثم تناولته الأخبار بصورة سريعة وعابرة، وفي هذا الشأن يظهر الارتباط الواضح بين هذا المعيار (عدم الموضوعية) والمعيار الأول.

ونضيف شاهدًا آخر في هذا السياق، خطاب السيدة بوش الإذاعي، الذي أوردته قناة (CNN) حيث وصفت حياة المرأة في أفغانستان "بالقاسية والمهينة، حتى أن إظهار القليل من المتعة غير مسموح به، فالأطفال لا يُسمح لهم باللعب بالطائرات الورقية، والنساء يواجهن بالعقاب عندما يضحكن بصوت مرتفع، ولا يستطعن العمل خارج المنزل ولا حتى ترك البيت بمفردهن [٤٢].

ونعلم أن خطاب زوجة الرئيس الأمريكي حول المرأة الأفغانية تزامن مع تقرير الحكومة الأمريكية المسمى (حرب طالبان ضد المرأة) والمكون من تسع صفحات هو جزء من المعركة السياسة ضد طالبان.

ولنا أن نتساءل أين حقوق الإنسان التي يوظفها الإعلام الغربي متى شاء ومع من يشاء؟ أين حقوق الإنسان عند تناول قضايا المرأة الأفغانية؟ أين حقوق المرأة الفلسطينية؟ لماذا لا تسلط الأضواء على حقها في الأرض، وحقها في

الأمن، وحقها في العيش بكرامة تحت سطوة القهر والظلم الإسرائيلي؟ لمــــاذا تستــخدم المرأة المســلمة كمدخــل للاحتلال، وعندما تكون تحــت الاحــتلال تتجاهل هذه الوسائل أبسط حقوقها المادية في عيش حياة آمنة كريمــة، وتــشهد الوقائع المتتابعة أن مسألة الحقوق في المنظور الغربــي لا تتجــاوز تحقيــــق التبعية الثقافية والقضاء على القيم الإسلامية.

ومن دلالات عدم الموضوعية استخدام المنــهج الانتقــــائي فــي تحريــر المقــالات والتحقيقات، فهؤلاء الإعلاميون في الغالب يعتمدون على المنهـــج الانتقائي في اختــيار وتوثيق ما يتفق مع أطروحاتهم الشخصية، وفــي حالــة إثبات الآراء المخالفة تختتم المقالة أو التحقيق برأي من هــو مؤيــد للنمــوذج الغربي، ويظهر ذلك بوضوح في حالة المرأة السعودية عندما تهمل نتائج التنمية التي تحققت للمرأة في المملكة، ويكون التركيز بالدرجة الأولى عــند الحــديث عن الــمرأة على عباءتها دون الإشارة إلى أن هذه العبــاءة لم تمنعها من العمل في التدريس والطب وإدارة البنوك، والتســويق، وتقنية المعلومات والتجــارة، وغيرها مما يشهد به واقع التنمية في المملكة العربية السعودية.

المعيار الثالث: أسلوب الاحتقار والنظرة الدونية

تنعكس مظاهر الاحتقار والنظرة الدونية للقيم الإسلامية المحافظة في بعض ما يُحرر، وفي هذا السياق نبحث مما أرى ما سطره نيكــولز كريــستوف فـــي صحيفة (New York Times) حيث افتتح تحقيقه بإطلاق لقــب (Black Ghosts) الأشباح السوداء على نساء المملكة، وأن المرأة السعودية مصنفة في الغرب بـــ (ممسحة الأرجل، والأثرية المغطاة بالسواد) وفي ختام تحقيقه يقول: "استمريت في سؤال النساء السعوديات كيف شعورهن وهن ممتهنـــات، واســتمررن فـــي إجابتي باعتزاز وكرامة أنهن غير ممتهنات" ثم يستطرد بعد ذلك بقوله: "مـــاذا

عسانا أن نفعل في هذا الشأن، نحن في الغرب نريد أن نحرر هؤلاء النسوة، وهن يصررن على أنهن سعيدات بوضعهن، فإذا كانت معظم السعوديات يرغبن في لبس الخيمة، وإذا اخترن أن يقتلن تطورهن الاقتصادي، ويضحين بالاحترام الدولي عن طريق تعلقهن بالقرن الخامس عشر، وإذا فضلت النساء أن يبقين مواطنات من الدرجة الثانية، إذن أعتقد أن هذا هو اختيارهن، ولكن إذا اخترن أن يتصرفن بغباء، إذن لا يتفاجأن عندما يشير إليهن الناس من الخارج ويتحدثون بصوت مرتفع"[٤٣]. وهنا يتفق هذا المعيار - مضموناً قلبًا وقالبًا- مع النموذج الثاني، ويبدو ذلك واضحًا عند مراجعة عدد من المقالات التي تحمل في مضمونها الصورة الساخرة المغلفة بالاحتقار، نجد أن الإعلام الغربي لا يريد أن يعرف عن المرأة المسلمة سوى عباءتها السوداء، فمن وصف بالأشباح السوداء، إلى إطلاق لقب "النينجا" وغيرها من الأوصاف والمشاعر المملوءة بالاستخفاف بثقافة الآخر واحتقار قيمه واتهامه بالانغلاق والتحجر والجمود.

هذا الأسلوب في مناقشة وضع المرأة المسلمة المحجبة هو استمرار لحملات الطعن والتشكيك، والمقالات المهاجمة للإسلام التي تنتشر في الغرب بصورة مستمرة وخاصة في الصحف اليومية والمطبوعات الشعبية، حيث تترك انطباعًا لدى قارئها بأن كاتبيها يتبعون المنهج العلمي في كتاباتهم وأنهم على درجة من العلم والدراية بعلوم الإسلام. بل أننا نجد أن الأمور وصلت إلى الحد الذي نجد عنده مرجعًا علميًّا مثل القاموس المعروف (Marriam – Webstar) يذكر الكلمات التالية مرادفة للفظ (عربي) بالعربي هو (عاطل لا هدف له) وهو مساوم ونصاب وتاجر لا ضمير له. وعندما طلب عرب أمريكا في بداية الثمانينيات من القرن العشرين من ناشري هذا القاموس، حذف هذه الأوصاف والعنصرية مثلما فعلوا من قبل مع اليهود، رفضوا أن يفعلوا ذلك مع العرب[٤٤].

المعيار الرابع: تكريس النموذج الغربي للمرأة وأنه النموذج الذي يحتكم إليه

يعتبر هذا المعيار من أهم المعايير وأبرزها ارتباطًــا بالمعــايير الثلاثــة السابقة حيث تشترك جميعها في عرض صورة نمطية مكررة للمرأة المــسلمة، وهذا هو الهدف الأساس ومجمل طرحهم الذي قد لا تخلو منه مقالة أو تحقيق أن المرأة في عالمنا الإسلامي ممتهنة ومهضومة الحقوق ومسلوبة الحرية، ومن ثم فلا عجب أن معظم ما يطرح يأخذ في ظاهره خدمة قضاياها، هذا من جانــب، وفي المقابل فثمة شبه إجماع من النساء المسلمات على رفض النموذج الغربــي والتحذير من النتائج الوخيمة حين تدفع الأمور باتجاهه.

ولنا أن نقدم في هذه السياق تحقيقًا مطــولاً فــي صــحيفة (The Christian Science Monitor) أجرته نيكول جاوتي مع عدد من المسلمات في كــل مــن: أفغانستان وإيران والمملكة العربية السعودية أكدن جميعًــا أن الــدين والثقافــة والتراث شكلت حياتهن، وإن كان لديهن أي مشاكل فبالتأكيد الحجاب ليس واحدًا منها.

ولا عجب أن تؤكد المحررة أن هؤلاء النسوة يفخــرن بطبيعة الإســلام، ومكانة المرأة فيه، لاسيما وأن مجموعة من الطبيبات والمعلمات الأفغانيات أكدن أنهن وبعد ذهاب الطــالبان لم يتخلين عن حجابهن، وما تناقلته وسائل الإعــلام الغربية وما ينضوي تحت تخليهن عن الحجاب غيــر صــحيح، وأن أحكـــام الإسلام يتبعها المسلمون في أفغانستان طوعًا رجالاً ونساءً، ولم تفــرض بحــد السيف كما يصورها ذلك الإعلام(٤٥).

ويعزز ذلك مقابلة نيكول كريستوف في صحيفة (New York Times) لعدد من الأكاديميات السعوديات تعبيرًا عن رفضهن للصورة النمطية التي تعــرض بها المرأة المسلمة، ورفض وصفهن بالممتهنات من قبل وسائل الإعلام الغربية حيث يقول:

"ولكن النساء السعوديات يرفضن وبشدة الصورة النمطية التي تعرض بها المرأة السعودية في الإعلام الغربي" و تقول إحدى الأكاديميات: "نعم إنني لست ممتهنة أنا أغطي جسدي ووجهي، وأنا سعيدة بكوني فتاة تطيع أوامر ربها" وتستطرد أخرى بقولها: "إنك لا تستطيع الذهاب إلى الهندية وتسألها لماذا تلبس الساري، ولا تستطيع أن تسأل الغربية لماذا تلبس الفستان القصير، إذن هذه هي عباءتنا وهي جزء من ثقافتنا، ولم تكن مصدر إزعاج لي على الإطلاق". وتقرر إحداهنّ: "أنا ألبس ما أريد ولكن ليس أمام الرجال غير المحارم، لماذا يفرض عليّ أن أكشف ساقي وصدري؟ هل هذه هي الحرية؟".

ويذكر المحرر أن العديد من النساء السعوديات يؤيدن هذا الاتجاه، ويؤكدن أنهن من ينعمن بالحرية، فهن المتحررات من التحرش الجنسي، والمتحررات من الاغتصاب، والمتحررات من مشاهدة أجسادهن تستخدم في تسويق الكوكاكولا، وأن المرأة الغربية هي التي استغلت لتصبح دمية للرجل.

وفي هذا الإطار يؤكد إدوارد بكنغتون المحرر في صحيفة (Guardian) أن معظم النساء في المملكة يفضلن البقاء والاستمرار على هذه العادات الاجتماعية التي يصفها بالمتشددة ويستشهد بمقولة إحداهن "إن النساء السعوديات سوف يحافظن على العباءة، وأنك لو أتيت بعد مليون سنة من الآن ستجد المرأة السعودية محافظة على عباءتها"[٤٦].

و تتوصل نيكولي جاوتي المحررة في صحيفة (The Christian Science Monitor) إلى حقيقة تؤكدها استشارية سعودية من مدينة جدة بقولها: "عليكم أن تعوا أن معظم النساء المسلمات يرغبن في الحجاب، ليس هناك شئ سوى الدين، والحجاب رمز للعقيدة، وهو شكل من أشكال الحماية، إنه لن يتغير إنه مثل الجلد الثاني"[٤٧]. وفي مقابلة مع رائدة من قيادات العمل الخيري في المملكة في موقع (guidedone.com) تستنكر فرض النموذج الغربي على المرأة المسلمة، وتذكر

أن "المشكلة مع الناس الآخرين أنه لديهم نمط معين في الحياة؛ ويعتقدون أنك إذا لم تعش مثلهم فإن هناك خطأ ما لديك، لماذا تطالب المرأة المسلمة في المملكـة أن تلبس بالطريقة الأمريكية أو الأوروبية" وترفض المصطلح الشائع في الإعلام الغربي بقولها: "إن ما يسميه الغرب بالمعاناة عند الحديث عن المرأة المـسلمة نحن لا نجده كذلك. إن المعاناة الحقيقية تتضح عندما نقارن بين المـرأة عنـدنا والمرأة عندهم".

واستشهدت بنسب إحصائية حول المشاكل الصحية والأخـلاقية التي تعاني منها المرأة الغربية. وتساءلت هل نموذج المرأة الغربية هو الجـدير بالاحتـذاء حقاً؟(٤٨).

وفي هذا السياق تتساءل صـحفية إيرانيـة فـي صـحيفة (The Christian Science Monitor) عن الاهتمام الغربي الشديد بالحجاب، وتذكر أن هذا الأمـر يحيّر العديد من المسلمات. وتضيف "أن الناس من الخارج عندما ينظرون إلينا: هم ينظرون فقط إلى جزئية صغيرة منا وهي كوننا محجبات، إنهم لا ينظـرون إلى الجزء الأكبر من المرأة والذي يتمثل في كونها متعلمـة" وتؤكـد إيرانيـة متخصصة في تقنية الحاسب "أن المرأة في إيران لديها قضايا أكثر أهمية مـن العباءة" (٤٩).

كما تستنكر هذا الاهتمام رئيسة جمعية خيرية سعودية في صـحيفة (USA Today) "يقولون أننا متخلفون، ولكنهم لا يرون ما هو موجود تحت العباءة، إننا لا نريد الغرب أن يأتي ويضع مطالب نيابة عنا، اتركونا وشأننا" (٥٠).

ولا عجب أن نرصد في أدبيات الإعلام الغربي رفض المسلمات للتدخل في شؤونهن حيث تذكر نيكـولي جـاوتي فـي صـحيفة (The Christian Science Monitor) "أنهن يرغبن في التطور ولكن بالشروط والمعـايير التـي تناسـب مجتمعاتهن، ويطالبن أن يكف الغربيون عن التحرش ونسج التخيلات حول مـن

يكن؟" وتستشهد برأي طبيبة مسلمة ترفض التدخل الغربي المكثف بعد أحـداث الحادي عشر من سبتمبر في شؤون المرأة الأفغانية بقولها "إذا كانت المرأة في أفغانستان متضايقة من وضعها، فهي التي لها الحق في تغيير هذا الوضع وليس أنتم، نحن كمسلمات نريد أن يكون التغيير بطريقة تتمشى مع ثقافتنا ولا يكـون التغيير ضدها"(٥١)، وتؤكد ذلك المفهـوم إحـدى السـعوديات للمحـرر إدوارد بكنغتون في صحيفة (Guardian) "نعم إننـا نريـد أن نتطـور، وأن نتغيـر للأفضل، ولكن لا نريد أن نخسر ديننا" ويعلق المحرر أن السعوديات يرغبن في حل مشاكلهن داخليًا، ومن خلال أنفسهن، ولا يرغبن في التدخل الغربـي فـي شؤونهن (٥٢). وتعلق على ذلك إحدى قيادات العمل النسائي في العـالم العربـي لقناة (BBC News) "أنه وبالرغم من الـتعطش للتغييـر إلا أن معظـم النـساء العربيات متمسكات بالنواحي المحافظة في مجتمعـاتهن" (٥٣). وتفـسر نيكـول جاوتي المحـررة فـي صـحيفة (The Christian Science Monitor) رفـض المسلمات التدخل الغربي في شؤونهن في سياق أكثر تاريخيـة بتأكيـدها: "إن التاريخ يعطي المرأة المسلمة مبررًا قويًّا للشك في نوايا الدول الغربية، فالـدول الأوروبية استخدمت دومًا المرأة المسلمة كذريعة للتدخل فـي شـؤون الـدول الإسلامية بغرض احتلالها، وتمثل على ذلك بطلب المندوبة الإنجليزيـة إيفلـين بارنق عام ١٨٠٠م من رؤسائها احتلال مصر تحت غطاء تغيير أوضاع المرأة فيها "وتضيف" أن الهبات الفرنسية للجزائر في أواخر القـرن التاسـع عـشر اشترطت تقديم الزيت والدقيق للفقراء بتخلص نسائهم من الحجاب" (٥٤).

وفي هذا الإطار تؤكد السيدة "باربرا بتزن" منـسقة الاتـصال الخـارجي بمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفرد "أن الخطاب الإذاعي الذي ألقته السيدة باربرا بوش حول امتهان المرأة في أفغانـستان يعلـل بدرجـة كبيـرة الاستخدام الغربي للمرأة المسلمة كمبرر وسبب للتدخل في الشأن الداخلي للدول

الإسلامية، حيث إنه وقبل الحادي عشر من سبتمبر لم يكن هناك اهتمـام مـن الغرب بالمرأة الأفغانية" [٥٥]. وتضيـف المحررة: "أن الإيرانيات أيضًا لـديهن أسبابهن الخاصة بعدم الثقة في التدخل الغربي، فالولايـات المتحـدة أسـقطت الحكومة المنتخبة من الشعب في عام ١٩٥٠م لتنصب الشاه في السلطة، وفـي حين حاول الشاه تحقيق مصالح الغـرب في أن يؤسس لتغييـر المـرأة، فـإن محاولته في نقل النموذج الغربي فشلت.

من خلال الأمثلة المتعددة في تحليل وتفسير هذا المعيار وبالقدر الذي ندرك معه فشل نقل النموذج الغربي لعالمنا الإسلامي. نقرر أن ذلك الفشل يعود إلـى منهجيته المرتبطة بمنهج مغاير لمنهجنا، ومنطلقات وهمية ومستوردة، ويراد لها أن تُنقل كما هي دون النظر في صلاحيتها ومشروعيتها.

وبالقدر الذي تدرك معه المرأة المسلمة أن التغيير والتطـور لا يمكـن أن يكون بنقل النموذج الغربي للمرأة كون هذا النموذج غريبًا عن ثقافتها وفكرهـا وعقيدتها، وهي تدرك أيضًا أن المحاولات المستمرة لنقل هذا النموذج هي فـي واقع الأمر عملية تغريب لا ينتج عنها سوى المزيد من التبعية والعجز والشلل.

وإن مما يؤسف له أن يوظف الإعلام الغربي أقلام مسلمات توهمن أن ثقافة الغرب هي معيارعام لتقدم الأمم وتطورها الحضاري للأمـم، مهمـا اختلفـت عقيدتها ومرجعيتها ونظمها الاجتماعية [٥٦].

المعيار الخامس: المرجعية المستمدة من منهجية وفكر الحركة النسوية الغربية (Feminizem)

نستطيع أن نرصد الحضور الفاعل والمنظّم لأقـلام المنتميـات للحركـة النسـوية في دفع الأجندة النسوية الغربية للقضاء على الحجاب، وتغيير قوانين

الأحوال الشخصية الإسلامي، وربط مسألة حصول المرأة على حقوقها بالصراع بين الرجل والمرأة.

والحقيقة إننا عندما نتناول بالتحليل على سبيل المثال ما يصدر عن قناة (BBC News)، فإننا نلاحظ الحضور القوي لهذه الحركة من خلال محررات أخذن على عاتقهن التخصص في قضايا نساء العالم الإسلامي، فمن إشادة بولادة مجلس وطني للمرأة في مصر يملك القوة بإدخال تشريعات جديدة تلغي قانون الأحوال الشخصية الإسلامي، إلى إشادة بكون عدد الخريجات من النساء في بعض الدول الإسلامية أكثر من الرجال، إلى التنديد بالحجاب الإسلامي، والهجوم على الدول الإسلامية التي تفصل بين الجنسين في التعليم والعمل، إلى تمجيد للناشطات العربيات، ومباركة جهودهن وتغطية مناشطهن في مجال تحرير المرأة العربية، وفرض القوانين التشريعية الوضعية. ناهيك عن الأوصاف التي تطلقها ذوات الفكر النسوي في الإعلام الغربي على المرأة المسلمة، من ممتهنة، إلى مواطنة من الدرجة الثانية، إلى غير ذلك من الأوصاف الدونية، ونقل صورة غير صادقة عن ما تحقق للمرأة في المملكة العربية السعودية في مجالي التعليم والعمل إنما هو نتيجة للضغوط التي وضعتها المرأة السعودية في سبيل الحصول على حقوقها.

ولاشك أن النساء المسلمات عامة، والمرأة في المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص اتجهن لرفض المسار التغريبي، فلم تعد إشكالية المرأة بالزي، فحجابها أصبح عنوانًا لكرامتها، وتعليمها أصبح طريقًا لرفض مناهج التغريب.

وفي هذا السياق تؤكد رئيسة لجنة الثقافة والتراث في جمعية رائدة في المملكة في مقابلة لها في موقع (guidedones.com) "أن هؤلاء النساء

المتحررات لديهن شعورٌ بالغرور، ويتحركن من منطلق وهمي، هو أقرب ما يكون إلى الخيال، حيث يقرّرن ما يجب أن يكون عليه وضع المرأة في المملكة، وبقية الدول الإسلامية، عن طريق التركيز على هذه الدول ووضع ضغوط عليها" وتؤكد أن مشاكل المرأة في المملكة أقل مقارنة بالمرأة الغربية، وتستشهد بإحصائيات حول نسب الإصابة بالإيدز، والأمراض الجنسية في المجتمعات الغربية بين النساء (٥٧). وهذا يعني أن هذا المعيار قد احتوى في مضمونه ومنهجه المعايير السابقة كلها.

المعيار السادس: ازدواجية المعايير (Double Standards) في التعامل مع القضية الواحدة، ويعد هذا المعيار من أخطر المعايير على الإطلاق في معاملة المرأة المسلمة والإسلام

تعد ازدواجية المعايير من الأمور المعروفة على نطاق واسع في وسائل الإعلام الغربية في تعامله مع قضايا المسلمين بصفة عامة، وفي شأن المرأة المسلمة علي وجه الخصوص، ولعلنا نتأمل المفارقات العجيبة في ازدواجية المعايير، والتي تُظهر تحيز الإعلام الغربي في تعامله مع القضايا عندما يتعلق الأمر بالإسلام والمسلمين يتمثل في الآتي:

- تستطيع الراهبة أن تُغطي رأسها إلى قدميها، وتكون في نظرهم محترمة، فهي تمتثل أوامر ربها، ولكن عندما تفعل ذلك المسلمة تعتبر ممتهنة.

- عندما تجلس المرأة الغربية في بيتها للعناية بالبيت والأطفال، فهي في نظرهم تقدم وتضحية جميلة في سبيل محافظتها على شؤون منزلها، ولكن عندما تفعل المرأة المسلمة ذلك فهي في حاجة إلى أن تُحرر.

- يستطيع اليهودي أن يطلق لحيته، ويُنظر إلى ذلك ضمن حقه في ممارسة دينه، وعندما يفعل ذلك المسلم يُعد متطرفًا.

- عندما يقتل المسيحي شخصًا ما، الدين لا يذكر، ولكن عندما يقاضى المسلم بجريمة ما، فإن الإسلام هو الذي يحاكم.

كما في جميع المعايير السابقة نجد في هذا المعيار طبيعة الصورة النمطية في العقل الجمعي الغربي، والمصادر المتعددة التي تسهم في تكوين هذه الصورة السلبية التي تتمثل فيها ازدواجية المعايير ففي حادثة التفجير في مدينة نيويورك عام ١٩٩٢م سارعت بعض الصحف الأمريكية إلى نشر خبر القبض على أحد المتهمين في الحادثة بالبنط العريض "القبض على إرهابي مسلم" وتساءل العديدون لماذا لا يتحدث الإعلام الغربي عما كانت تقوم به الميليشيات الإيرلندية في بريطانيا في إطار "الإرهاب الكاثوليكي"، ولماذا لا توصف الوحشية العدوانية بالصربية بـ "الإرهاب الأورثوذكسي" ولماذا لا تكتب الصحف الأمريكية عن "الإرهاب الهندوسي" عندما نسف الهندوس مسجد بابرى في الهند، ولماذا لم يوصف الأمريكي "ديفيد كورين" الذي روع أمريكا بوصفه مثلاً لـ "الإرهاب المسيحي" بدلاً من وصفه بأنه مشعوذ يمثل الطوائف المنحرفة [٥٨].

وهكذا نجد أن صورة المرأة المسلمة في الإعلام الغربي ينطبق عليها هذا المنهج الغربي الانتقائي غير الموضوعي الذي ينتقد قضايا كالحجاب وتعدد الزوجات وعدم الاختلاط.. إلخ. ومعيارهم في هذا الانتقاد المرجعية الثقافية والاجتماعية التي تشكل نموذجهم الغربي ولا يهمهم ما هي الإنجازات العلمية والثقافية التي تحققت للمرأة في هذه المجتمعات، وهي تحافظ على حجابها.

إن صياغة النموذج الغربي الذي من خلاله يتم الهجوم على المرأة المسلمة لم يكن وليد عقود قليلة بل هو متجذر في البنية الفكرية للعالم الغربي. ولابد من مناقشتها وفق الآتي:

العوامل التي أسهمت في صياغة الرؤية الغربية لواقع المرأة المسلمة

١. البعد التاريخي

لقد ترسبت الآراء عن المسلمين في الغــرب، وشــكلت الــصورة غيــر الصحيحة عن الإسلام منذ الفتوحات الإســلامية لأوروبــا، وقبــل الحــروب الصليبية، واعتبر بعض المسيحيين أن الفاتحين المسلمين جاءوا للانتقــام مــنهم عن الخطايا المسيحية، وأملوا في مرحلة يستعيدون فيها زمام الأمــر ويــشنون حركة فتوح مضادة تحت قيادة دينية أو سياسة مسيحية غربية، ورغم أن هنــاك من تغيرت الصورة لديه بعد رؤيته تعامل هؤلاء المسلمين الفاتحين لأوروبا، إلا أن الجهل بالإسلام كدين بقي، كما يقول المؤرخ سذرن (Southern): أنه لم يكن هناك بين الكتاب الغربيين من يعرف شيئًا عن الإسلام، وشبه سذرن هذا النوع من الجهل برجل سجين يسمع إشاعات عن الأحداث في الخــارج، فيحــاول أن يفسرها في ضوء قيمه وتصوراته السابقة، وكان مصدر معرفتهم بالإسلام مــن الإنجيل الذي يمثل المصدر الرئيسى لأفكار الأوروبيين [٥٩].

وبعد الحروب الصليبية التي تضمنت ثماني حملات مدججة بالــسلاح فــي الفترة من ١٠٩٥م إلى ١٢٧٠م تعاونت فيها أوروبا كلها واســتخدمت أســاليب الإبادة والتهجير والتنصير كلها[٦٠]، والتي يرى الدكتور توبيت أن الأوروبيــين كانوا يرون أن هذه الحملات الصليبية ضد (الكفرة المسلمين).

هذه الحروب بقيت آثارها على عقلية وأفكار الإنسان الغربي سواء من حيث فهمه الخاطئ للإسلام والمسلمين، أو من ناحية العداء له لدى البعض. مما أدى إلى تغلغل الصورة التقليدية المشوهة للمسلمين العرب. سواء فــي الأفــلام أو القصص وحتى في القواميس نجد هناك صورة مشوهة للمعاني المترادفة للفــظ (عربي) [٦١].

وهناك من يرى أن هذه الصورة السلبية للعرب والمسلمين سادت في أوروبا في الكثير من الروايات والمسرحيات وقصائد الشعر. كما أن هذه الصورة السلبية للعرب في أمريكا لها علاوة على ذلك جذورها الأمريكية التي ترتبط في المقام الأول بالاتجاه الخاص للمهاجرين العرب في مطلع هذا القرن، الذين لم يندمجوا في المجتمع الأمريكي ولم يتمكنوا من فرض إرادتهم.. أو يثبتوا وجودهم كجالية متحدة ومنظمة بعكس أصحاب الجنسيات الأخرى.. ولم يستطع هؤلاء المهاجرون العرب في أمريكا الدفاع عن أنفسهم سياسيًّا وإعلاميًّا.. بل كان هناك ميل لدى بعض العرب إلى التخلي عن خاصيتهم اللغوية والعرقية والثقافية والدينية في سبيل الاندماج في الحياة الأمريكية. ولم يكن هناك إلا طائفة قليلة منهم كانت على استعداد أن تعترض على القذف الموجه من الغرب في وسائل الإعلام الأمريكية.. وهكذا ظلت الأحكام المتميزة المعادية للعرب والمسلمين كما هي، ولم يتم تصحيحها ولم يجد الأمريكيون الفرصة المناسبة لاستخلاص الحقيقة، وفي هذا الصدد يقول إدوارد سعيد أستاذ الأدب في جامعة كولومبيا الفلسطيني الأصل في هذا السياق: "إن الصورة العنصرية للعرب لم تنتج عن شيء آخر غير تحويل العداء الشائع للسامية من هدف يهودي إلى هدف عربي (٦٢). وذلك بالإيحاء بأن تعاليم الإسلام إنما هي سبب في رجوع المسلمين إلى الوراء، وستكون سببًا في انحطاط حضارة هذه الشعوب التي يتوقع منها أن تدخل في الإسلام، وستكون عائقًا في سبيل تقدمهم ونهوضهم، في الوقت الذي يلاحظ فيه التقدم الغربي لأنه يدين بالمسيحية. فارتبط التقدم لدى الشرقيين بتمسكهم بالإسلام، وارتبط التقدم لدى الغربيين بتمسكهم بالمسيحية وكانت مهمة المستشرقين التأكيد على أن الإسلام القائم على الكتاب والسنة عقيدة وسلوكًا إنما هو دين (ميت) لم يعد يتمثله إلا القلة من الأصوليين المتطرفين" (٦٣).

ولهذا يقول عنهم إدوارد سعيد: (إن المسألة الرئيسة بالنسبة للمستشرقين هي أن يبقوا الشرق والإسلام تحت سيطرة الرجل الأبيض) ويؤكد أنه يمكن اعتبار المستشرق العميل الخاص للقوة الغربية في محـــاولتهم لرســـم الـــسياسة تجـــاه الشرق.. ويوضح على الـــتلازم الواضـــح والمتبـــادل بـــين الطبقـــة المفكـــرة والإمبريالية الجديدة كان نتيجة الانتصارات الخاصة للاستشراق، فالعالم العربي اليوم كوكب تابع فكريًّا، وسياسيًّا، وثقافيًّا، للولايات المتحدة [٦٤].

٢. البعد السياسي

لاشك أن هناك رابطة قوية بين البعد التاريخي والبعد الإسلامي تتضح من خلال التأكيد على أن العالم الإسلامي سقط أمام تحديثات الحضارة الغربية مـــن النواحي السياسية والعسكرية، وكان الاستعمار الغربي لمعظم الـــدول العربيـــة والإسلامية سببًا في الإطاحة بالخلافة العثمانية، وتجزئـــة العـــالم الإســـلامي، وإخضاعه بالاستعمار، وأثناء فترة الاستعمار في أبعادها السياسية والعـــسكرية والعقدية تمت عمليات التغريب والتنصير، وامتد هذا إلى مناهج التعليم، وأساليب التربية، والتثقيف، وإلى الاقتصاد والحيـــاة الاجتماعيـــة والثقافيـــة.. والعـــالم الإسلامي في هذه المرحلة لم يكن يملك أدنى أدوات المقاومة اللهـــم إلا القـــوة الكامنة في دينه، وقد صور الكاتب الأمريكي ستودارد (Studard) هـــذه الحالـــة بقوله: (إن العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلـــغ، ومـــن التـــدني والانحطاط أعمق دركه، فأربد جوه، وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجا من أرجائه، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب، وتلاشى ما كان باقيًا من آثـــار التهذيب العربي، واستغرقت الأمم الإسلامية، في اتبـــاع الأهـــواء والـــشهوات وماتت الفضيلة من الناس، وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم الضئيلة، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال.

وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فألبست الوحدانية التي عملها صاحب الرسالة الناس سجفًا من الخرافات، وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء، وطوائف الفقراء والمساكين، يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات. وهكذا لم يكن لدى العالم الإسلامي أسلحة سياسية ولا عسكرية ولا فكرية ولا عقدية، وكان عليه إما أن يستسلم فيسقط في حضيض الهزيمة الحضارية المدمرة، وإما أن تظهر فيه أقلية مبدعة مجاهدة تستعين بالإسلام في صد هذه الغارة التي امتدت إلى ساحة العالم الإسلامي كله، وعليها أن تكشف جوهر الحضارة الإسلامية الصحيح أمام التحديات الكبيرة (٦٥).

وهذه هي مرحلة التخلف التي انعكس أثرها على مرافق الحياة الإسلامية فانتابها الجمود وأغلق باب الاجتهاد، وكما يقال في المقابل فتح باب الإلحاد الصريح، وانتشرت الخرافات والبدع، وإذا حدث أحدهم فإنه يلجأ إلى الأحاديث الضعيفة التي لاشك أن الناس كانوا يستمعون إليها بشوق قبل مائة عام، ولكنها جاءت تنفر في هذا الزمان العقول الجديدة لا من أولئك المفسرين والمحدثين فحسب بل من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

والجدير بالذكر في هذه المرحلة من الاستعمار العسكري هو أنه ولأول مرة في تاريخ الأمة الإسلامية تصبح مولعة بتقليد الغالب، وكان هذا الحدث أخطر من كل النكبات التي عرفتها الأمة، لأن الغالب كان مختلفًا عنا كثيرًا فهو من دين غير ديننا، ولغة غير لغتنا وحضارة غير حضارتنا، وتاريخه غير تاريخنا، وتصوره للخالق والكون والإنسان غير تصورنا، وكان مختلفًا جدًّا ولذا كان الأثر الذي بقي منه بعد رحيل الاستعمار المباشر هو وسائل الاستعمار غير المباشر الذي استمر حتى اليوم.. أيضًا ظهور التيارات اللادينية والعلمانية في النسيج الثقافي في المجتمعات الإسلامية الذين أسهموا في تسويق النموذج الغربي

لتحرير المرأة الغربية مما شكل وبالاً على مكانة المـــرأة المـــسلمة، ودورهـــا الأسري والمجتمعي، وأيضًا أسهم في مزيد من التجهيل بحقـــوق المـــرأة فـــي الإسلام، ومكانتها الحقيقية وليس على مستوى المؤسسات الاجتماعية بل أيـــضًا على مستوى الوعي الديني للنساء المـــسلمات ومعـــرفتهن بجـــوهر التـــشريع الإسلامي.

٣. البعد الثقافي والاجتماعي

أ) المرجعية الدينية

هناك عداء للإسلام وأيضًا جهل في العقلية الغربية لتحديد مكانـــة الإســـلام كدين وعقيدة وتشريع؛ لأن المكانة الصحيحة للإسلام أنـــه ديـــن بـــين العقائـــد التوحيدية أو السماوية وليس مع الهندوسية والبوذية والكونفوشيسية كمـــا بـــرأه بعض المفكرين لديهم، فهو ليس دينًا يُسمح بوجوده من باب حرية الفرد، وحرية العقيدة في المجتمع، بل هو دين سماوي. وهذا الخلط نجده في معظم التحليلات والأفكار الخاصة بقضايا المجتمع الإسلامي، بات ضروريًّا التمييز في الشريعة الإسلامية ما بين القواعد العامة التي لا تقبل التغيير ولا التبـــديل، ومـــا بـــين التطبيقات للأحكام التفصيلية على تلك القواعد العامة، وهي وحدها التي قد تتغير فيها الأحكام تبعًا لتغيرات المصالح والأزمان.

وكل ذلك سواء فيه القواعد العامة أو الأحكام التفصيلية يتفق، كمـــا ذكرنـــا أعلاه مع قواعد (العلم والعقل والتفكير)، أما القواعد العامة فقد تضمنها القـــرآن الكريم، ولذلك اعتبر القرآن الكريم من هذه الناحية هـــو دســـتورنا، ونظامنـــا الأساسي في الشريعة الإسلامية، وتبنى عليه كل أحكام شريعتنا التفصيلية، كمـــا هو المفهوم في الشرائع الوضعية حيث يكون لها دستور في قواعده العامة مـــن ناحية الحقوق الأساسية فلا تغيير فيه ولا تبديل، ثم يكون لهـــا أحكـــام قانونيـــة تفصيلية تطبيقًا لها على قواعد الدستور العامة.

ولذلك فإن ما جاء في القرآن الكريم من القواعد العامة لا يجوز فيه التغيير ولا التبديل. كالقول بوجوب العدل في الحكم على أساس عدم التمييز في الحكم لا بسبب الدين ولا بسبب الجنس، أو اللون، أو القرابة حتى ولا العداء، فيجب أن تصدر الأحكام العادلة ولو لمصلحة العدو، أو ضد الغريب من دون أي تمييز في الحكم بالعدل مهما اختلف الطرفان فيما ذكر من أسباب مميزة ذلك لأن القرآن لا يقبل بصورة ما، ومهما تغيرت الظروف والأسباب أن تبطل قاعدة الأخذ بالعدل ضمن تلك الشروط القرآنية، وأن يؤخذ عليها بقاعدة الظلم [٦٦].

وفي الغرب يحدث انفصال التشريع الوضعي، عن التشريع الديني، واستقر لديه أن التشريع الثقافي والذي هو محصلة تقدم المجتمع لديهم وقد ألغوا دور (الإله) وسيدوا العقل وهذا التشريع هو الهادي لوسائل التشريع الوضعي، يقوده ويطوره ويفرضه على الثقافات الأخرى. ولهذا فإن الاختلاف الثقافي ينطلق في جزء منه على هذه المرجعية التي من خلالها أصبحوا يحكمون على الأوضاع الاجتماعية للنساء في المجتمعات المسلمة وحقوقها، فهم يرون أن المرأة من غير نسائهم هي اليوم ضحية مثلثة: فهي ضحية التشريع السماوي عند من يحتكمون إلى شريعة السماء، وضحية التشريع الوضعي عند الذين زاوجوا بين التشريع السماوي والتشريع الثقافي، وهي ضحية التشريع الثقافي في كل الأعراف الثقافية التي خالفت أعرافهم، وبناء على هذه المسلمات كان الهدف لديهم دائمًا هو تنميط الثقافة الإنسانية في (قضيته المرأة) والوسيلة إلى هذا هي (جملة القضايا الخاصة بالمرأة) والتي تعد في بعضها قضايا مأساوية بالنسبة إلى المرأة في بقاع الأرض، سواء في المجتمعات المسلمة أو غير المسلمة، أما ما يخص المجتمعات المسلمة فلابد من الاعتراف إن جزءًا كبيرًا منها كان بسبب عدم الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية، والركون إلى الأعراف والتقاليد، أو القوانين الوضعية خصوصًا في المجتمعات التي خضعت للاستعمار والدور

التخريبي الذي سببه، على مستوى القوانين أو على مستوى تغريب من يشرع هذه القوانين.

وقد اعتاد الغرب منذ زمن أن يجعل ثقافته معيارًا للثقافات العالمية، وقياسًا للأخلاق وللذوق فعرفهم وثقافتهم ولباسهم هو السلوك الصحيح، وهو النموذج الأمثل الذي ينبغي الاقتداء به.

واللباس أو (الزي) يرتبط بسلوك ثقافي ديني عند الشعوب غير الغربية ولكن هذا الأمر غير معترف به في النسق الثقافي الغربي، فبينما الراهبات يرتدين لباسًا محتشمًا أسود اللون أو أحمر اللون أحيانًا ولا يظهر منهن سوى الوجه واليدين في الغالب، ولا يواجه هذا اللباس بأي هجوم أو انتقاد، على عكس ما يحدث في انتقادهم لحجاب المرأة المسلمة.

فهناك حملة وهجوم صارخ على (حجاب هذه المرأة المسلمة) في مجتمعاتنا الإسلامية، ورغم هذا هناك من الكتاب الغربيين من قام بمقارنة بين الحجاب الذي ترتديه النساء المسلمات وبين لباس البيكيني الذي ترتديه المرأة الغربية، وهو مقال يعكس مدى إعجاب بعض المنصفين من دعاة التحرير في الغرب بالقيم الإسلامية، رغم اختلاف الأيديولوجيات ووضح كيف أن القيم الأخلاقية للحجاب يتمثل في (التستر) بينما في المقابل نجد النقيض في ملكة الجمال التي ترتدي البيكيني. فهي تمثال عارٍ أمام الملايين على شاشات التلفزيون فهي ملك للعامة، تسوق جسدها إلى المزايدة لإعلاء السعر.

وفي أمريكا المقياس الثقافي لقيمة المرأة هو جاذبيتها، وبهذا تنخفض قيمتها بسرعة وهي تشغل نفسها، وتهلك أعصابها للظهور.

والدوافع الحقيقية لحرب الغرب على الأمة العربية الإسلامية هي حرب ذات أبعاد سياسية وثقافية وأخلاقية، إذ أنها تستهدف ثروات ومدخرات الأمة

إضافة إلى سلبها من أثمن ما يملك: دينها وكنوزها الثقافية والأخلاقية، وعلى صعيد المرأة استبدال البرقع وما يحمله من قيم بالبيكيني كناية عن التعري والتفسخ [٦٧].

ب) الأسرة كنسق اجتماعي

إن تركيبة الأسرة المسلمة والعربية هي منظومة قائمة بذاتها، مكتفية بمرجعيتها الشرعية فنظام الزواج وتراتيب المعاشرة داخل البيت، ومراسم المصاهرة في الخطبة وعقد القران والمهر ثم سنن التزويج، ووسائل الإنجاب، والتنشئة، وتقاسم الوظائف بين الزوج والزوجة، وكذلك آليات التصاهر جميعها متدرج تحت مظلة الشريعة وأيضًا مظلة التقاليد والأعراف.

فكيف سيتسنى للمنظور الغربي أن يستوعب هذه القضايا سواء ما كان منها على مستوى التشريع أو ما كان على مستوى التقاليد والعادات.

فهم ينظرون إلى المرأة خارج السياق الاجتماعي لها – كفرد مادي وحيد- وليس عضوًا في أسرة، وما يترتب على ذلك من مسؤوليات وتبعات تتعلق بوظائفها البيولوجية، وإنكار النظر إلى قضية المرأة وحل مشكلاتها من خلال دورها الفعال في المجتمع كزوجة وأم لها دور في الأسرة مقدر ومحترم، وفي خصائصها البيولوجية المؤهلة للقيام بها وأعني بذلك المسؤوليات الزوجية والأمومة (حمل وإنجاب وإرضاع وتربية أطفال) وفي السياق نفسه يناقشون قضية المرأة بعيدًا عن المنطلقات الدينية والأخلاقية، وخاصة في تعارضها مع قيم وضوابط الشريعة الإسلامية، واعتبار الكثير من قوانين الأحوال الشخصية مناهض للمساواة من خلال الرؤية الغربية للمساواة، ومجحف بحقوق المرأة، وبالتالي فقد صُنفت بعض هذه القوانين كلون من ألوان العنف ضد المرأة: كالمهر، وتكليف الزوج بالنفقة، والميراث، وأدوار الأم، والزوجة، والمعاشرة

الزوجية، وحق الطلاق للرجل، ونظام الحضانة، والسفر بإذن الزوج، وحقـوق النسب، وتعدد الزوجات، والإرضاع ورعايـة الأطفـال، والـولي للزوجـة، وضرورة العمل على تحقيق المساواة التامة، والحقوق المتساوية بين الجنـسين في كل هذه الأمور وغيرها: كالحقوق الجنسية بوسـائلها المـشروعة وغيـر المشروعة، وحق الاختيار للمرأة في الإجهاض، وحق اختيـار شـكل العلاقـة الجنسية (مثلية أو طبيعية) التي نادت به اتفاقية القضاء على جميع أشكال التميز ضد المرأة.

جـ) المؤتمرات الدولية ووثائقها(٦٨)

لقد عقد أول مؤتمر عالمي خاص بالمرأة في مدينة مكسيكو تحت إشـراف الأمم المتحدة وموضوعه: المساواة والتنمية والسلم في عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م. واعتبر ذلك العام، العام العالمي للمرأة. وفي عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م عقـدت الأمم المتحدة مؤتمرًا تحت شعار (القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة) وخرج المؤتمرون بالاتفاقية بالمسمى نفسه. ثم عقد مؤتمر عرف باستراتيجيات نيروبي في عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. ثم عقد المؤتمر الدولي للسكان والتنمية في القاهرة بجمهورية مصر العربية في عام ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ثـم المـؤتمر العالمي الرابع في بكين في الصين في عام ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. وهو المـؤتمر الذي تم فيه الدعوة إلى عدد من التوصيات فيها مخالفة للشريعة الإسلامية بـل مخالفة للفطرة ومنها:

- الدعوة إلى الحرية والمساواة بمفهومها المخالف للإسلام.
- القضاء التام على أي فوارق بين الرجل والمرأة دون النظر فيما قدرتـه الشريعة واقتضته الفطرة.

- الدعوة إلى فتح باب العلاقات الجنسية المحرمة شرعًا، ومنها السماح بحرية الجنس والتنفير من الزواج المبكر، والعمل على نشر وسائل منع الحمل وتحديد النسل، والسماح بالإجهاض المأمون، والتركيز على التعليم المختلط. وعلى تقديم الثقافة الجنسية للجنسين في سن مبكر وتسخير الإعلام لتحقيق هذه الأهداف.

وهناك العديد من هذه المؤتمرات يتم عقدها بإشراف الأمم المتحدة على مستوى إقليمي أو دولي لمتابعة توصيات مؤتمر بكين ولتطبيق بنود (اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة) [٦٩].

هذه الاتفاقية التي تعتبر من أهم الصكوك الدولية التي تضم مبادئ أساسية تدعو لتمتع المرأة بكافة حقوقها، واعتبرت أن التمييز ضد المرأة إجحافًا أساسيًا وإهانة للكرامة الإنسانية كما دعت إلى إلغاء كافة القوانين والأعراف، والممارسات التي تشكل (تمييزًا) ضد المرأة.

ورغم أهمية بعض بنودها واتفاقها مع ما جاء في الشريعة الإسلامية مما يحقق للنساء حقوقهن إلا أن هناك بعض البنود في بعض موادها تتعارض مع التشريعات الإسلامية، خاصة ما يتعلق بالميراث والقوامة والدور الأمومي للمرأة.

- تم ربط بنودها بكل مرافق الحياة، وبجميع مشاريع الدول المختلفة في السياسة والاقتصاد والقانون ومؤسسات القرار، والتعليم والصحة، والتوظيف والتدريب، بحيث وإن الدولة التي وقعت عليها لابد أن تغير تشريعاتها الدينية وثقافاتها وأولوياتها حتى تستجيب لمتطلباتها.

- طالبت الاتفاقية بإزالة جميع العقبات الثقافية والفكرية والقانونية التي تعترض هذا التنفيذ.

وهكذا نجد أن هذه الاتفاقية ستــستخدم وســيلة لتــدويل قــضايا المــرأة، واستخدامها ورقة ضغط على الأنظمة التي تقاوم النمط الحضاري الغربي سواء أكانت المقاومة على أسس دينية عقائدية أو أخلاقية أو اجتماعية اقتصادية.

ومن الأهمية توضيح أن هناك بنودًا في هذه الاتفاقية فــي صــالح قــضايا المرأة وإنصافها وتوفير الضمانات المالية والقــضائية لهــا ولا تتنــاقض مــع التشريعات الإسلامية.

هذه الأسباب التي أسهمت في صياغة هذه الرؤية الغربية للمرأة المــسلمة، والتي توضح أننا أمام منظومة قيم حضارية منطلقاتها وفلسفاتها مخالفة تمامًــا لمنظومتنا الحضارية في الإسلام بكل أبعادها الدينية والأخلاقية والثقافية.

كما لا يغيب عن الذهن أن نعترف أن الواقع الاجتماعي للمــرأة المــسلمة خصوصًا ما هو متعلق بالجانب التطبيقي العملي لما في التــشريع مــن عدالــة وحقوق لها، هذا الواقع به ثغرات وخلل تسلل منها مهندسو الاتفاقيات الدوليــة كي يتدخلوا في التشريعات والقوانين الخاصة بالأسرة والمرأة.

بعض السلبيات في إيفاء المرأة المسلمة حقوقها

إن القارئ لأدبيات قضايا المرأة العربية المسلمة في معظم مجتمعاتنا سيجد أن الأمر يتمثل في الآتي:

١- كثرة الاهتمام بالخطب، والمحاضرات، والندوات، وجميع ما يوضــح مدى اهتمام الإسلام بالمرأة وحقوقها، والمكانة التي تحتلها بصفتها أمًّا وزوجــة وابنة.

٢- كثرة الكتب التي تبحث في أمور النساء وتبين حقوقهن، وتــرد علــى الشبهات المتعلقة بهن. وبما أن حقوق النساء معلومة، والشبهات حولها معدودة، كانت هذه الأدبيات التي تبحث قضايا المرأة كلها متشابهة إلا قليلاً (٧٠).

٣- هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد واقع المرأة المسلمة في العديد من البلاد الإسلامية، ضعف إن لم يكن غياب تطبيق جميع حقوق المرأة المسلمة، وأيضًا نلاحظ ضعف دور المرأة المثقفة المسلمة عن قيامها بدور فعال حقيقي في بناء المجتمع المسلم المعاصر، وعلى الرغم من أهمية دورها، وبما أن المرأة تشكل جزءًا هامًا وحيويًا من بناء المجتمع، وبالتالي فإن أي خلل يطرأ على قيامها بدورها يظهر أثره واضحًا على بنية المجتمع، ومسيرته [٧١]. ذلك أن كثيرًا من الأوضاع في المجتمعات المسلمة بعيدة عن الإسلام في شؤون السياسة، والاقتصاد، والتعليم، والاجتماع، وبسبب هذا البعد عن الإسلام نشأت أوضاع فاسدة، مما أدى إلى الظلم الذي تعاني منه المرأة المسلمة الآن، والذي كان سببًا في الطعن على الإسلام، وتعالت صيحات التمرد، والدعوة إلى التحلل من أحكام الشريعة، والثورة على تعاليم الدين، وتحرير المرأة، وإعطائها حقوقها، وحريتها المسلوبة، وبروز ما يسمى بـ (مشكلة المرأة)، أو (قضية المرأة)، والتي استغلها أعداء الإسلام أسوأ استغلال في حربهم لهذا الدين، إنما كان مرده للواقع المهين الذي تعيشه المرأة المسلمة في كثير من بقاع البلاد الإسلامية، والتي أسيء فيها استخدام الأحكام الشرعية بتطويعها للهوى، والابتعاد فيها عن حقيقة الإسلام وأصوله في ممارسات الحياة اليومية، مما أدى إلى وقوع الظلم على المرأة بصورة فادحة لا تستطيع المرأة أمامها مهما كانت منزلتها العلمية، أو وضعها الاجتماعي، أن تحول بينها وبين التعرض لهذا الإجحاف الذي تعددت ألوانه واختلفت مظاهره، وكثرت صوره، كما نجد وللأسف الشديد أن (قضية المرأة)، ما زالت من القضايا التي افتقدت فيها الوسطية فكانت بين غلو وتقصير، وإفراط وتفريط، والعدول عن الوسطية كان هو منشأ الظلم، وسببه الأصيل بدأ بعصور الانحطاط التي مرت على المسلمين، وعندما أهملت فيها المرأة إهمالاً ذريعًا، وأسقطت حقوقها، وألغيت مكانتها التي

منحها لها الشارع الحكيم، وسلبت إنسانيتها وصودرت حريتها، وضيق عليهـا الخناق، حتى انتهى بها الأمر إلى أن غابت حقيقة عـن الوجـود الفعلـي فـي المجتمع، ونظر إليها نظرة ملؤها الاستهانة، والاستعلاء، وعوملت علـى أنهـا ناقصة عقل ودين بمفهوم خاطئ.

وكان وضع المرأة المسلمة يزداد سوءًا كلما بعد المجتمع عن فهـم حقيقـة الإسلام، وإدراك أصوله، وخالف المنهاج الرباني عقيدة وعملاً فـي تعاملاتـه اليومية، وخالف الإسلام في الطريقة التي ينبغي أن تعامل بها المرأة، وأن تحيا وفقها، من منطلق القاعدة التي وضعها من ساوى بـين المـرأة والرجـل فـي الحقوق، حق الحياة، وحق الوجود، وحق المصير، والواجبـات، وفـي حمـل الأمانة، والقيام بالمسؤولية، ليحل محلها التقاليد، والعادات، والأعراف التي لـم تخل من السمات الجاهلية، والتي مازال صداها يتردد فـي كثيـر مـن الـبلاد الإسلامية فنتج عن ذلك: أن كثير من التقاليد التي تحكم حياة بعض المـسلمين، وبيوتهم، مخالفة في كثير من أبعادها للمفهومات الإسلامية الصحيحة، ومع ذلك فإننا نجد هذه التقاليد والعادات، والأعراف القبلية لها من القداسـة فـي نفـوس الناس ما ليس للحكم الشرعي، فنراها تقدم على حكم الله بل قد تنحـى التعـاليم الإسلامية الصحيحة، لتحل محلها في حكم المجتمع.

وبالتالي استطاعت أن تقضي على كيان المرأة، وتقلل من مكانتها، وتهمش دورها في الحياة، بل لقد عملت على إلغاء كثير من الحقوق التي قررها الإسلام للمرأة فبقيت تلك (الحقوق حبيسة في كتاب الله الذي يقـرأ ولا يطبـق، وسـنة رسوله صلى الله عليه وسلم التي تردد ولا يقتدى بها، وكتب الفقهاء التي تدرس ولا يعتد بمضامينها، مع أن تلك الحقوق والمكانـة لـم تكتـسبها المـرأة مـن الظروف، ولكنها منحة إلاهية، وتشريع رباني خالد).

إن كان هذا هو الظلم الذي مارسه المجتمع على المرأة، وعانت منه طيلة قرون باستثناء عصر النبوة، والخلافة الراشدة، وفترات الازدهار الحضاري فإن الظلم الذي تعاني منه المرأة في هذا العصر ظلم مركب، بوجهين مختلفين متناقضين، وذلك نتيجة للتقدم الحضاري، والانفتاح الفكري والثقافي، وتدفق التيارات الفكرية، والمادية، بما تحمله من مشاريع تغييرية، ودعوات تغريبية وحداثة، تنادي بالإقبال على معطيات الحضارة المعاصرة، ونبذ الدين والتحرير من الموروثات الثقافية كلها، وما نتج عن ذلك كله من صراع ذاتي ونفسي وفكري داخل المجتمع المسلم نفسه.

وإذا كانت الفئة الأولى ظلمت المرأة بتجريدها من حقوقها، وتعسفت في تعاملها معها، فإن هذه الفئة ظلمت المرأة بمحاولة اقتلاعها من جذورها، وسلخها من تراثها، وتمردها على تعاليم ربها، وخروجها عن أحكام دينها، وجعلها صورة مهزوزة مشوهة للمرأة الغربية، دون أن تحقق شيئًا يذكر، فلا هي نالت حقوقها وحريتها، ولا هي استطاعت أن تثبت وجودها وفاعليتها، ولكنها تحولت في يد هذه الفئة إلى ألعوبة توجهها كيف تشاء، وورقة رابحة للدعوة إلى إقصاء الأحكام الشرعية عن الحياة العامة بحجة أنها السبب الرئيس في تخلف النظم الاجتماعية، التي تذيب الفوارق الطبيعية بين الجنسين، وتحطم من خلالها الحواجز الأخلاقية، وتقوض القيم الدينية، من أجل تحطيم البنية الداخلية للمجتمع المسلم، محور معالم شخصيته الإسلامية، وتميزه الذاتي، مما يسهل بعد ذلك عملية القضاء عليه بصورة نهائية، وتحويله إلى تابع ذليل، ومقلد أعمى، لا حول ولا طول، ولا وجود حقيقي على خارطة العالم، ومسرح الأحداث.

ومما يؤكد ذلك (أن الدعوة إلى الحرية والمساواة والحقوق والاختلاط كلها دعوات غامضة، لتباين أهداف المنادين بذلك والمناصرين له. فالقضية لا تعدو

أن تكن مرتبطة بالأهواء المختلفة، والتقليد الأعمـى، والاسـتجابة لاسـتفزاز كلمات: التخلف والتقدم، والرجعية والتقدمية [٧١].

من هنا ينبغي أن ندرك حقيقة ما يجب علينا اتخاذه

١- الاعتراف بجهلنا نحن النساء بحقوقنا وواجباتنا كما جاءت في الإسلام. وبالتالي عدم الدفاع عن هذه الحقوق، والمطالبة بالحصول عليها.. والعمل على تصحيح هذا الخلل (تربويًّا، وإعلاميًّا، واجتماعيًّا).

٢- أهمية المشاركة في المؤتمرات العالمية للمرأة، والتواصل مع النـساء في مختلف دول العالم وإيصال رسالة الإسلام إليهن.

٣- ضرورة العمل على إعداد بيان أو ميثاق مستمد من تعاليم الإسلام تلزم به الأنظمة فيما يخص النساء والأطفال والأسرة. بشكل عام، ويكـون ضـمن قضايا السيادة التشريعية التي لا يجوز المساس بها، والمطالبة به مـن العلمـاء والهيئات العالمية الإسلامية.

٤- والوقوف بقوة تجاه بنود الاتفاقيات الخاصـة بـالمرأة عالميًّـا التـي تتعارض مع الشريعة الإسلامية.

٥- التواصل الثقافي مع المنظمات النسائية الغربية الموضـوعية، والتـي تعارض هذا المنهج المتبع في الإعلام الغربي تجاه الإسلام والنساء المـسلمات على وجه الخصوص.

الخلاصة

ينبغي أن ندرك: أن ما يقدم في الإعلام الغربي هو محاولة لتـوهين القـيم الإسلامية، وتمكين القيم الغربية باسم الانفتاح والحداثـة، وتحقيـق المـشترك الإنساني وغيرها من المصطلحات، وأن ندرك أن الغرب بكافة مؤسـساته لـن

يهدأ إلا بتصدير قيمه وثقافته، وهو ما أنزله الله تعالى في قوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠].

ينبغي أن نعي الأبعاد الحقيقية لاستهداف المرأة المسلمة، حيث لم يفتأ الغرب في التلميح والتصريح أنها النواة لتغيير المجتمعات المسلمة، لاسيما وقد أصبحت في يومنا هذا تمثل جزءًا رئيسًا ضمن مشروع الولايات المتحدة للتغيير الثقافي والاجتماعي في المنطقة.

وقد آن الأوان أن نتحمل مسؤولية كبيرة في الالتزام بهذا الدين العظيم، وأن نعي ما يحيط بنا من مستجدات تتطلب منا استيعاب الهجمة بعيدًا عن الانفعال، والتبصر بكيفية التعامل معها، والتحول من أن نكون موطنًا لقيم الحضارة الغربية وترجمتها في حياتنا إلى موقف تصدير القيم والأخلاق للغرب وما تمثله هذه القيم من صلاح واستقامة استجابة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩].

وينبغي أن نتذكر دائمًا أن هناك رسالة للمسلم (رجلاً أو امرأة) عليه أن يبلغها للإنسانية جمعاء. والإصلاح الذاتي هو الخطوة الأولى لإبلاغ هذه الرسالة للآخرين.

الهوامش

(١) **معن خليل عمر**، معجم *علم الاجتماع المعاصر*، دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م، الأردن، ص٤٠١.

(٢) *كتاب المعرفة*، صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، الرياض، عدد ١٢، ص ١٨١.

(٣) *المرجع السابق*، ص ١٨٢.

(٤) **عبدالقادر طاسن**، *صورة الإسلام في الإعلام الغربي*، ط٢، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ص: ١٩-٢٢.

(٥) **أحمد بن راشد بن سعيد**، *قولية الآخر*.. قـصة التـشويه الحـضاري والاغتيـال الإعلامي للمسلم والعربي، ٢٠٠٠م، ص ٦٥.

(٦) *المرجع السابق*، ص ص: ٨١-٨٢.

(٧) **عبدالقادر طاسن**، *الإعلام وقضايا الواقع الإسلامي*، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص١١٧.

(٨) **حلمي خضر ساري**، *المرأة ك(آخر)*، صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م، ص ص: ٧٥٩-٧٦٣.

(٩) **Henri Tajfel**, "individuals and Groups in Social Psychology" *British Journal of Social and Clinical Psychology*, **Vol.18** (1979), pp: 183-190.

(١٠) خطاب إلى الغرب: رؤية من السعودية – إعداد مجموع مـن العلمـاء والمثقفـين السعوديين – نميناء للدراسات والإعلام – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ(٢٠٠٣ م)، ص١٧ وما بعدها.

(١١) **بوندار يفسكي**، ترجمة إلياس شاهين، *الغرب ضد العالم الإسلامي*، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٥م، ص٤.

(١٢) **Ahmad Smauralli** , *Image of Islam in the Weten Wonld and Image of the Went in theIslamic Wold* , fizet Edition , 2002 – 2003 , Azal Pz , pp: 8-9.

(١٣) *Ibid* , p.11

(١٤) **كارين آرمسترونج** ، ترجمة محمد الجورا: *الإسلام في مرآة الغرب*، محاولة جديدة في فهم الإسلام، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سورية (د.ت.) ص٧.

(١٥) *المرجع السابق*، ص٢١ وما بعدها.

(١٦) **إليكسي جورا فسكي**، ترجمة محمد الجرار، *الإسلام والمسيحية من التنافس والصدام إلى الحوار والتفاهم*، بيروت، دار الفكر المعاصر،٢٠٠٠م، ص ٧٢ وما بعدها.

(١٧) **كارين آر مسترونج** ، *ترجمة محمد الجرار ، مرجع سابق*، ص١٩٢.

(١٨) *المرجع السابق*، ص ٢٩٣.

(١٩) **إليكسي جورا فسكي** ، ص١٨.

(٢٠) *المرجع السابق*، ص٣٦ وما بعدها.

(٢١) *المرجع السابق*، ص ١١.

(٢٢) **محمد سعيد البوطي**، *المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني*، دار الفكر، سوريا ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص١١.

(٢٣) *المرجع السابق*، ص٣٦.

(٢٤) *المرجع السابق*، ص ٢٨.

(٢٥) *المرجع السابق*، ص ٢٠.

(٢٦) محمد يوسف عبده، قضايا المرأة في سورة النساء، دار الدعوة، مجلد ٢٩، الكويت، ١٤٠٧هــ، ص ص: ١٢- ١٣.

(٢٧) **دبب علي حسن**، *المرأة اليهودية بين فضائح التوراة وقبضة الحاخامات*، دار الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، ط٣، ٢٠٠٢م ، ص ١٨.

(٢٨) **إبراهيم عبدالهادي النجار**، *حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية*، دراسة تأصيلية من فقه القرآن الكريم والسنة النبوية والآراء الفقهية المعتمدة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان (د.ت.) ص ١٧ وما بعدها.

(٢٩) **فاطمة عمر نصيف**، *حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة*، مكتبة دار زهران للتوزيع ، جـــدة، ١٤١٧هــ/١٩٩٧م، ص٣٢ وما بعدها.

(٣٠) **إبراهيم عبدالهادي النجار**، ص ٢٥ وما بعدها.

(٣١) *المرجع السابق*، ص ٢٥.ذ

(٣٢) **فاطمة عبدالرؤوف**، *دعاوي، محاولـــة لتزييـــف موقـــف الإســـلام مـــن المـــرأة*، .www.islammemo.cc

(٣٣) **محمد سعيد البوطي** ، *المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني*، دار الفكر سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٧هــ/١٩٩٦م، ص ٢٦ وما بعدها.

(٣٤) **Roymond, Janice G.** (1994) *"Women As Wombs"* Harper San Francisco, P.41.

(٣٥) **Arzu Merali**, they hate women, don, they.

(٣٦) **Edward Pilington,** *The women that time forgot,* July 6, 2002. Guardin Unlimited.

(٣٧) **Barbara Slavin,** *Saudi Arabia*, April 25 USA Today and see same ideas with some changes in **Nicole Gaouette,** *Voice From Behind the Veil,* Dec 19, 2001. The Christian Science, **Moniter** & **Hassan M. Fattah,** *Evolution, not revolution, for Saudi Women,* Dec 22, 2005.

(٣٨) **Nicholas D. Kristof,** *Saudi Women Argue Merits Behind The Veil,* October 27, 2002, New York Times, **Donna Abo Naser,** *Saudi women can sell-Not Drive-Cars,* Dec, 3, 2006, The Washington Post.

(٣٩) Cover up or else, Kashmir women told, August 29, 2001, CNN.com.

(٤٠) **مراد هوفمان**، *الإسلام في الألفية الثالثة*، مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هــ، ص ٩.

(٤١) **أمين الكردستاني، كاميليا حلمي محمد**، الجندر، المنشأة، المدلول، الأثر، جمعية العفاف الخيرية، عمان، الأردن، ١٤٢٥هــ/٢٠٠٤م، ص٨٧.

(٤٢) First lady blasts Taliban treatment of women. November 17, CNN.com, Brain Whitaker (Veil Power) Feb 21, 2006.Guardian Unlimited. Special Report.

(٤٣) **Nicholas D. Kristof**, *op.cit.*

(٤٤) **مراد هوفمان**، *مرجع سابق*، ص ١١٠.

(٤٥) **Nicole Gauette,** Voice From Behind The Veil, October, 2002, The Christian Science Monitor. **Nicholas D. Kristof**, *op.cit.*

(٤٦) **Edward Pilington,** *The women that time forgot*, July 6, 2002, Guardin Unlimited - **Faiza Ambah,** *Saudi Women Rise in Defense of the Veil*, June 1, 2006. The Washington post.

(٤٧) **Nicholas D. Kristof**, *op.cit.*

(٤٨) Oppressed in Islam, Status of Women Unveiled, www.guidedones.com

(٤٩) **Nicholas D. Kristof** .*op.cit.*

(٥٠) Saudi Arabian Women Receive Identity Cards, May 12, 2001, USA Today.

(٥١) **Nicholas D. Kristof** .*op.cit.*

(٥٢) **Edward Pilington,** *The women that time forgot,* July 6, 2002, Guardin Unlimited.

(٥٣) **Emma Clark,** *Arab Women Lift The Veil On Business*, October 31, 2002, BBC News.

(٥٤) **Nicholas D. Kristof,** *Saudi Women Argue Merits Behind The Veil,* October 27, 2002, New York Times.

(٥٥) *Ibid.*

(٥٦) كتابات نوال السعداوي وفاطمة المرسينس، خير مثال لهذا التوظيف.

(٥٧) **Caroline Hawley,** *Egyptian Women Rights: Century On*, October 23, 1999 BBC News.

(٥٨) **عبدالقادر طاش**، *الإعلام وقضايا الواقع الإسلامي*، مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ص: ١٠٦- ١٠٧.

(٥٩) **أحمد بن راشد بن سعيد**، *قولبة الآخر*، *مرجع سابق*، ص ص: ٢٠-٢٢.

(٦٠) **أحمد القديدي**، *الإسلام وصراع الحضارات*، كتاب الأمـــة، رقــم ٤٤، ذو الحجــة ١٤١٥هـ، مايو ١٩٩٥م، ط١، ص: ١٠٤.

(٦١) **رتو بيت**، ترجمة وتعليق ثابت عيد، *صورة العرب في أمريكا*، من منشورات فـــي التنوير الإسلامي رقم (٣٤)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيـــع، يونيـــو، ١٩٩٩م، ص ١٩.

(٦٢) *المرجع السابق*، ص ص: ٢٦-٢٧.

(٦٣) **علي بن إبراهيم النملة**، *الاستشراق في الأدبيات العربية*، مطبعـــة الملـــك فيـــصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٤هـــ/١٩٩٣م، ص ص: ٤٤-٤٥.

(٦٤) *المرجع السابق*، ص ٤٩.

(٦٥) **عويس عبدالحليم**، *موقف الفكر الإسلامي المعاصر من الحضارة الحديثـــة*، مجلـــة المنهل، ٤٩٥، شوال – ذو القعدة ١٤١٢هـ، إبريل- مــايو ١٩٩٢م، ص ص: ٢٥-٢٨.

(٦٦) **محمد معروف الدواليبي**، *ندوات علمية حول الشريعة الإسلامية*، دار الشواف، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ط٣، ص ص: ١٤-١٥.

(٦٧) **هنري ماكوو**، *البرقع مقابل البكيني*، ترجمة وتعليق محمد الكندري، موقع بوابة العرب.

(٦٨) **فؤاد العبد الكريم**، *العدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية*، الرياض، ١٤٣٦هـ، ص ص: ١٧٣-١٩٨.

(٦٩) *اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة.. رؤية نقدية*، اللجنة الإســلامية العالمية للمرأة والطفل، المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة.

(٧٠) **عايدة المؤيد العظم**، *سنة التفاضل وما فضل الله به النساء على الرجــال*، دار ابــن حزم، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ١٣.

(٧١) **سارة بنت عبدالمحسن بن جلوي آل سعود**، *المرأة المــسلمة والظلــم الاجتمــاعي المعاصر*، ط١، ١٤٢١ هـ، ص ص: ١٦-٢٣.

المراجــع

أولاً: المراجع العربية

إبراهيم عبدالهادي النجار (د.ت.) *حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية*– دراسة تأصيلية من فقه القرآن الكريم والسنة النبوية والآراء الفقهية المعتمدة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان.

اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة ..رؤية نقدية، اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة.

أحمد بن راشد بن سعيد (٢٠٠٠م) قولبة الآخر.. قصة التشويه الحضاري والاغتيال الإعلامي للمسلم والعربي.

أحمد القديدي (١٩٩٥م) *الإسلام وصراع الحضارات*، كتاب الأمة، رقم ٤٤، ذو الحجة ١٤١٥هـــ، مايو.

أمين الكردستاني، كاميليا حلمي محمد، الجندر (١٤٢٥هـــ/٢٠٠٤م)، *المنشأة*، *المدلول*، *الأثر*، جمعية العفاف الخيرية، عمان، الأردن.

إليكسي جورا فسكي – ترجمة خلف الجراد.

بوندار يفسكي (١٩٨٥م) *الغرب ضد العالم الإسلامي*، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو.

حلمي خضر ساري (١٩٩٩م) *المرأة ك (آخر)، صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

غيناء للدراسات والإعلام (١٤٢٤هـــ/٢٠٠٣م) *خطاب إلى الغرب: رؤية من السعودية*، إعداد مجموع من العلماء والمثقفين السعوديين.

ديب علي حسن (٢٠٠٢م) *المرأة اليهودية بين فضائح التوراة وقبضة الحاخامات*– دار الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، ط٣.

رتو بيت (١٩٩٩م) صورة العرب في أمريكا، ترجمة وتعليق ثابت عيد، *من منشورات في التنوير الإسلامي رقم (٣٤)*، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، يونيو.

سارة بنت عبدالمحسن بن جلوي آل سعود (١٤٢١هـــ) *المرأة المسلمة والظلم الاجتماعي المعاصر*.

عايدة المؤيد العظم (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) *سنة التفاضل وما فضل الله به النساء علي الرجال*، دار ابن حزم.

عبدالحليم، عويس (١٤١٢هـ) موقف الفكر الإسلامي المعاصر من الحضارة الحديثة، *مجلة المنهل*، العدد ٤٩٥، شوال – ذو القعدة.

عبدالقادر طاش (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) *الإعلام وقضايا الواقع الإسلامي*، مكتبة العبيكان.

علي بن إبراهيم النملة (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، *الاستشراق في الأدبيات العربية*، مطبعة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.

فاطمة عبدالرؤوف، *دعاوي*، محاولة لتزييف موقف الإسلام من المرأة، www.islammemo.cc.

فاطمة عمر نصيف (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) *حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة*– مكتبة دار زهران للتوزيع جدة.

فؤاد العبد الكريم (١٤٢٦هـ) العدوان علي المرأة في المؤتمرات الدولية، الرياض.

كارين آر مسترونج ترجمة محمد الجورا: الإسلام في مرآة الغرب – محاولة جديدة في فهم الإسلام، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا (د.ت.).

كتاب المعرفة (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) (صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم) الرياض.

محمد معروف ألدواليبي (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) *ندوات علمية حول الشريعة الإسلامية*، دار الشواف، ط٣.

محمد سعيد البوطي (د.ت.) *المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني*، دار الفكر، سوريا.

معن خليل عمر (٢٠٠٠م) معجم *علم الاجتماع المعاصر*، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن.

مراد هوفمان (١٤٢٤هـ) *الإسلام في الألفية الثالثة*، مكتبة العبيكان.

هنري ماكوو، *البرقع مقابل البكيني*، ترجمة وتعليق محمد الكندري، موقع بوابة العرب.

ثانيًا: المراجع الإنجليزية

Abo Naser, D. (2006) *Saudi Women Can Sell-Not Drive-Cars,* Dec, 3, The Washington Post.

Ambah, F. (2006) *Saudi Women Rise in Defense of the Veil,* June 1, The Washington post. *First Lady Blasts Taliban Treatment of Women,* November 17, CNN.com.

Clark, E. (2002) *Arab Women Lift The Veil On Business,* October 31, BBC News.

Gaouette, N. (2001) *Voice From Behind the Veil,* Dec, 19, The Christian Science Monitor & Hassan M. Fattah, Evolution, not revolution, for Saudi Women, Dec, 22, 2005.

Hawley, C. (1999) *Egyptian Women Rights: Century On,* October 23, BBC News.

Kristof, N. D. (2002) *Saudi Women Argue Merits Behind The Veil,* October 27, New York Times.

Pilington, E. (2002) The women that time forgot, July 6, Guardin Unlimited.

Roymond, J. G. (1994) "*Women As Wombs*" Harper San Francisco.

Slavin, B. Saudi Arabia, April 25 USA Today.

Smauralli, A. (2002 – 2003) *Image of Islam in the Western World and Image of the West in the Islamic World,* 1st (Ed.).

Whitaker, B. (2006) Veil Power Feb 21, *Guardian Unlimited, Special over up or else, Kashmir Women Told*. August 29, (2001), CNN.com.

The Image of Muslim Woman in Western Media

Nora Khaled Alsaad

Associate Professor of Sociology, Faculty of Arts and Humanities – King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

Abstract. The Muslim woman issues have become a target in the media, the Western in particular, to instigate doubts about the women's rights in Islam. The present study explains the reasons behind this negative image of Islamic teachings, the factors that have made this stereotype about Islam and the view representing the social realty of the Muslim woman. It also explains how to correct these misunderstandings about Islamic teaching related to the woman's rights. Thus we applied the Western media criteria in analyzing women rights and obligations in Islam such as: lifting the Islamic guardianship over Muslim women, their lack of objectivity in discussing the issues of the Muslim woman, their propagation to implement western model for women, the influence of feminism, and the double standard in analyzing women issues). The study also delineates some negative practices in some Islamic societies, which provide grounds for this wrong stereotype. It also clarifies the inaccurate representations of Islamic conflicts and women rights that Western media often confuse and misinterpret them. The Western media also do not differentiate between the Islamic Sharia and the laws used in the West. It is recommended that we should communicate with other Western women organizations which refute this subjective stereotype applied towards Islam and these issues.